# سماحـــة الأديـــان

# والســلام العالــمى

الناشـــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنـــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد - مساكن درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفـــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقـم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

**E- mail**

dwdpress @ yahoo.com
dwdpress @ biznas.com

**Website**

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب: سماحة الأديان والإسلام العالمى

المؤلـــف: خالد الزواوى

رقم الإيداع: ١٤٨٢٨ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: X - 389 - 327 - 977

# سماحة الأديان
# والسلام العالمى

دكتور
خالد محمد الزواوى

الطبعة الأولى
٢٠٠٤

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

**إلى أحفادي على الطريق :**

**محمد ..**

**أحمد ..**

**يوسف..**

**أقول إن المحبة تبني والتعصب يأكل اليابس والأخضر ..**

**(( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ))**

**( الأنعام ٦ )**

وفى سبيل هذه الغايات استقر عزمنا على ... أن نأخذ أنفسنا بالتسامح ، وأن نعيش معا فى سلام وحسن جوار ...

## ميثاق الأمم المتحدة :

إن أى إصلاح لهذه الأمة لا يكون إلا من الدين ، فاليهودى والمسيحى والمسلم متدينون بطبعهم ، ولابد من نزع فتيل الصراع بينهم ليكون الجميع واحداً ...

المؤلف

## مقدمـــة :

إن وضوح الرؤية فى بيان السماحة فى الأديان ودورها فى التنمية يعتبر فى غاية الأهمية بالنسبة للقارىء الإنسان على سطح الأرض فى هذا الكوكب ، فمن شأنه أن يزيل الكثير من العقبات ويفسح الطريق أمام الجميع من أجل خير الإنسان ، وأمنه واستقراره .

والواقع أن قضية السماحة فى الأديان بدأت تأخذ شكلا إيجابيا فى مجتمع اليوم ، لتقدم الحضارة والفكر والوعى ، ولأنها تشكل فى عالم اليوم ضرورة من ضرورات العصر ، للتغلب على العديد من المشكلات الحياتية على جميع المستويات ، ومن ثم يجب أن يكون إحدى السمات المميزة للعصر الحالى ، وإذا كان هذا يعد أمرا ملحا فى الأمور غير الدينية ، فإن الأمر يبدو أكثر إلحاحا فى العلاقة بين الأديان، لما للدين من أثر لا يمكن تجاهله فى حياة الناس ، أفرادا أو جماعات ، ومن أجل ذلك يقول (( هاتركونج )) الألمانى (( لن يكون هناك سلام بين الأمم ، مالم يكن هناك سلام بين الأديان ، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ، ما لم يكن هناك سماحة بين الأديان )) فنحن نعيش اليوم فى عصر لم يعد فيه مكان للانعزال والتقوقع ، فالعالم أضحى مثل (( قرية كونية )) - كما يعرف الكثيرون - يعتمد فيها كل على الآخر . وهذا أمر يقتضى تعاونا وتآلفا ...

والسماحة هى السبيل إلى بلوغ الهدف ، والوصول بالبشرية إلى بر السلام . فمستقبل الإنسانية جمعاء ، يتعلق بسماحة الأديان هذه ، وبحل إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب .

ومن المهم بالنسبة للمسلمين أن يتعرفوا وجهات نظر الآخرين عبر مراحل التاريخ ، لأنها لا تزال بشكل أو بآخر ، تشكل الخلفية الفكرية لما يدور فى الأوساط غير الإسلامية وبخاصة فى وسائل الإعلام ، من فهم خاطىء وتصوير مشوه لتعاليم

الإسلام ولعل ذلك يحفز المسلمين على أن يعملوا - بأسلوب علمي بعيد عن الانفعالات والعواطف - على تصحيح هذه التصورات الخاطئة عن الإسلام . والأمر لا يقتصر في واقع الأمر على الجانب النظرى فقط ، بل وينسحب على مسارات السلوك الإسلامى أيضا حتى يكون متفقا مع ما يشتمل عليه الإسلام من تسامح وتراحم ومحبة وسلام .

وموضوع السماحة فى الأديان ، يهدف إلى الخروج من أسر العقد القديمة ، والمفاهيم المغلوطة على جميع الجوانب ، والتطلع فى الوقت نفسه إلى مستقبل مشرق ، ينعم فيه الإنسان مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا بالأمن والاطمئنان ، من خلال دور هذه الأديان فى التنمية ، وهو يمهد لإرساء أسس موضوعية لا طائفية فى هذه السماحة ومن خلالها ، من أجل مزيد من التقارب والاحترام المتبادل ، والتفاهم بين المسلمين والمسيحيين واليهود من جهة . وبين الديانات والحضارات والعقائد البشرية جمعاء من جهة أخرى .

والمتأمل فى النصوص الإسلامية يجد أنها اقتلعت من قلوب الناس جذور الحقد الدينى بالنسبة لاتباع الديانات الأخرى ، بل وأقرت بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع الإنسانى ، وإمكانية تعايش الأديان جنبا إلى جنب ، قال الله عز وجل : (( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون )) (آل عمران ٦٤ ) (( ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم )) ( هود ١١٨ - ١١٩ ) (( ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين )) ( يونس ٩٩ ) .

وقد عاش المسلمون واليهود والنصارى فى صدر الإسلام فى دولة إسلامية واحدة . وأبقى المسلمون على معابدهم وطقوسهم وأحبارهم ، ولو كان الإسلام لا يتعايش مع المخالفين له ، ما أبقى على واحد منهم إبان عز الإسلام وقوته .

وفقه الولاة والخلفاء هو السياسة الشرعية الحكيمة للإسلام فى حسن تعامله ورعايته ، بل وحمايته للمسالمين من غير المسلمين ، وقد قال سيدنا على بن أبى طالب ، رضى الله عنه - الناس عندك صنفان إما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق .

وإذا كان أر سطو قد عرف الإنسان بأنه (( حيوان ناطق )) أى مفكر ، فقد عرفه غيره من الفلاسفة بأنه (( حيوان متدين )) فذهب هيجل ، مثلا إلى أن الإنسان وحده هو الذى يمكن أن يكون له دين ، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق ، ذلك لأن التدين عنصر أساسى فى تكوين الإنسان ، والحس الدينى ، إنما يكمن فى أعماق كل قلب بشرى ،بل هو يدخل فى صميم ماهية الإنسان ، مثله فى ذلك مثل العقل سواء بسواء .

ولعل هذا مانحا ببعض صوفية الإسلام - كالجنيد ، وابن عطاء الله السكندرى وغيرهما إلى القول بأن الإيمان فطرى فى النفس البشرية ، التى كانت سابقة فى وجودها على البدن ، وأن البدن هو الذى حجب الإيمان ومنع ظهوره ، وهى فكرة لخصّوها فيما سموه (( بالميثاق الأعظم )) مستندين فيها إلى قوله تعالى (( وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين )) ( الأعراف ١٧٢ ) . وإذ أسلمنا بأن الحس الدينى جزء أساسى فى تكوين الإنسان ، وأنه موجود بدرجات متفاوتة عند الناس جميعا ، فقد يكون مطمورا عند من يحاول أن يحجبه أو يمنعه من الظهور بل ربما يجحد وجوده ، وقد يكون عارما وطاغيا عند الصوفى العظيم الذى يرى الفعل الالهى فى كل حركة كونية من حبة الرمل فى الصحراء إلى نجوم السماء فلابد أن نسلم بالتالى أن تفسير هذا الحس الدينى قد خضع لنفس التطور الذى خضع له الإنسان ، فاختلف وفقا لمراحل كثيرة لارتباطه ارتباطا وثيقا بالإطار الثقافى الذى وجد فيه . ومن هنا نشأت كثرة من الديانات منذ أن دب على ظهر

الأرض إنسان ، فكانت الأساطير والخرافات والسحر والشعوذة ، ومحاولة السيطرة على القوى الخفية ، والتقرب إليها بالأضاحي والقرابين ، مما يزخر به تاريخ الشعوب في الشرق والغرب على حد سواء ، ثم ظهرت الديانات البشرية حتى نزلت الديانات السماوية الكبرى ، اليهودية والمسيحية و الإسلام .

ولقد دأب المسلمون ابان ازدهار حضارتهم ،على دراسة الديانات البشرية المختلفة القريبة منهم والبعيدة على حد سواء ،لأنهم أدركوا فى هذا العهد المبكر ذلك لأثر القوى الذى يتركه الدين فى نفوس الناس وسلوكهم حتى قيل إن دراسة العقائد والشعائر الدينية يمكن أن تكشف عن طبائع الشعوب والأمم . وهكذا سافر أبو الريحان البيرونى ( فى القرن الخامس الهجرى ) إلى الهند ، وقضى فيها أربعين عاما يدرس أولا لغتها القديمة - السنسكريتية ويتقنها إتقانا يجعله يترجم إلى اللغة العربية عددا من المؤلفات السنسكريتية كما يترجم إلى السنسكريتية كتاب ( أصول الهندسة ) لإقليدس والمجسطى لبطليموس ، ثم يكتب كتابه العظيم (( تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة )) الذى أتمه فى المحرم من عام ٤٢٣ هـ ( ١٠٣١ م) . ولم يكن الكثير مما يضمه هذا الكتاب القيم جديدا على المسلمين فحسب ، بل كان كذلك حتى بالنسبة للثقافة الأوروبية فى العصور الحديثة على ما يشير المستشرق الألمانى إدوارد سخاو ناشر الكتاب .

وبعد ذلك بفترة وجيزة كتب الشهرستانى أشهر كتبه (( الملل والنحل )) الذى يؤرخ فيه لأديان عصره بمنهج علمي دقيق . حتى إنه اشترط على نفسه فى مقدمة الكتاب أن يتجنب التعصب والميل مع الهوى ، يقول ( شرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحيحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله ، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق . ونفحات الباطل ).

بهذه الروح العلمية الموضوعية كتب الشهرستانى عن المجوس واليهود والنصارى والمسلمين ، كما كتب عن الصابئة ، وعبدة الكواكب ، وعبدة الأوثان ، وعبدة الماء ، ومعتقدات الهنود لا سيما البراهمة ، فأصبح كتابه دائرة معارف للديانات فى عصره ( القرن السادس ) رغم أنه أراده فى البداية (( مختصرا يحوى ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون ، عبرة لمن استبصر ، واستبصارا لمن اعتبر ) على ما يقول هو نفسه فى المقدمة ، لكن هذا المختصر طال حتى زاد عن خمسمائة صفحة ، ولا يزال حتى الآن مرجعا لا غنى عنه لكل من يهتم بتاريخ الأديان ، حتى إنه ترجم لأهميته إلى بعض اللغات الأجنبية.

وهناك الكثير من الكتب الأخرى التى كتبها المسلمون عن الديانات والملل ، فضلا عما كتبوه فى ثنايا الكتب التى تؤرخ للفرق أو لأحداث التاريخية ، فالإسلام دين فكر وتطور وحضارة شاملة ، ويمثل تراثه عمقا إيجابيا ومؤثرا على مدى العصور ، والإسلام محور ثقافتنا العربية والقومية التى تحدد ملامحنا بين الثقافات الأخرى المعاصرة ، وهو دين قيم إيمانى أخلاقي إنساني يعمل على بناء الإنسان نواة للمجتمع الصالح ويحدد سلوكه ويرسم خطاه فى المجتمع ، ويضع التشريعات ليرسم مدينة فاضلة يعيش الناس فيها فى ظل الأمن والأمان ، وأن الإسلام أقيم على محور السلام وهو محور البشرية الآن التى تعيش لا تتناحر فيها الأجناس والقوميات والأديان والمصالح والأوطان كما يدعو المنهج الإسلامي إلى التسامح ، والتسامح خلق نبيل .يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا ).

ويقول الله تعالى : (( يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ))

ويقول الأنبايؤانس : إن الدين يهدف إلى ربط الإنسان بالكون الذى يعيش فيه ، وتعاليم المسيحية تدعو إلى الصلاح والتقوى ونبذ الرذائل والشرور ووضع القيم موضع الاعتبار .

وكل الأديان تدعو إلى أن يحسن الإنسان من أخلاقه حتى يعيش المجتمع فى تقدم وازدهار ،ويجب علينا أن نكون متسامحين وأن نحب بعضنا بعضا بالعمل ، وأن ندعو إلى الرحمة "وألا تمنع الخير عن أهلك حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله " إن التسامح ضمان لتنمية المجتمع " اللطف على شفتى العاقل " والطهر والعفاف "طوبى لأنقياء القلب " والعمل والنشاط " إن كان أحد يريد أن يشتغل فليأكل . وإن كان لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا " والالتزام بالحقوق والواجبات ، " اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله "

د . خالد الزواوى

# الفصل الأول

## اليهـــــــــــود



## الفصل الأول : اليهود والمجتمع :

اتسمت علاقات اليهود بالمجتمع المحيط بهم طيلة الفترة الواقعة بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر بقدر كبير من الاستقرار ، وكانت أماكن العمل طيلة هذه الفترة تجمع اليهود بإخوانهم المسيحيين والمسلمين ، وكان أبناء هذه الطوائف يلتقون معا آنذاك خارج العمل أيضا ، وتثبت الأبحاث الحديثة أن اليهود تأثروا إلى حد كبير بكافة فنون المجتمع الإسلامي في فترة ما . كما تسللت بعض مظاهر هذا التأثير إلى عالم الممارسات الدينية اليهودية ، وأخذ اليهود في فنونهم العديد من الموتيفات الإسلامية والمسيحية التى كانت سائدة في ذلك الوقت . وفي حقيقة الأمر ، فإن استقرار الأوضاع الاقتصادية وغيرها في أي زمن و أي عصر يكفلان دائما استقرار العلاقات بين اليهود والمجتمع .

كان هناك تواؤم ملموس بين المجتمع الإسلامى ، والمجتمع اليهودى ، لا سيما أن يهود الشرق ، خلاف يهود أوربا ، كانوا أكثر اندماجا في مجتمعاتهم فكانوا يعرفون اللغة العربية ، والإبداع الفنى ، وأيضا معتقدات وأفكار جيرانهم المسلمين . ورغم أنه ظهرت في أوساط المسلمين بعض الأفكار الحديثة نتيجة لتأثرهم بالفكر الغربى ، إلا أن قوة مكانة الدين في المجتمع الإسلامى ، واستقرار الأسس المحافظة في النظم العائلية ، وطرق المعيشة ، حالا دون اندماج أعداد كبيرة من اليهود في مسيرة الحداثة داخل المجتمع الإسلامى .

وكانت الطائفة اليهودية في مصر ، تتميز عن غيرها من الطوائف اليهودية في البلدان الإسلامية بأنها كانت الأكثر ثراء . وقد حرصت الطائفة اليهودية في كل من القاهرة والإسكندرية على إقامة مؤسسات تعليمية ، ووجدت الصحافة اليهودية

التى عبرت من خلالها الشخصيات اليهودية المستنيرة عن أفكارها ، وشغلت مكانا بارزا فى الحياة الفكرية للطوائف اليهودية .

عمل اليهود طيلة الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر فى المهن التى يرتبط وجودها بالبحر ، فعملوا فى مجالات الصيد وبناء السفن وخدمة الموانئ ، وعملوا لفترة طويلة فى مجال التجارة الخارجية ومع حلول القرن التاسع عشر ظل اليهود يعملون فى بعض المجالات التجارية . وتولى يهود دمشق وحلب وعكا مكانتين اقتصادية وسياسية بارزتين فى أوساط الدوائر الحاكمة حتى بدايات القرن التاسع عشر . وكان معظم يهود بيروت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر يعملون بالتجارة أو فى المعاملات المالية ، ونجح يهود بيروت فى الاندماج فى حياة الدولة الاقتصادية .

وتوجد معظم الطوائف اليهودية فى الشرق فى البلدان التى سادها الإسلام السنى مثل العراق وكردستان وبخارى و أفغانستان وعدن، بينما توجد باقى الطوائف فى البلدان التى ساد بها الإسلام الشيعى مثل إيران واليمن ، وكان أهل السنة من المسلمين أكثر تسامحا من الشيعة تجاه اليهود ، حتى أن الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر شهدت اعتناق أعداد كبيرة من يهود إيران للإسلام لأسباب اجتماعية - اقتصادية - كما كان العامل الاقتصادى فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين واحدا من أهم دوافع حركة الهجرة اليهودية من العراق إلى إيران ، وأدت ظاهرة الهجرة الداخلية وتحسن الأوضاع الأقتصادية إلى وجود طبقات فى المجتمع اليهودى فى المدن الكبيرة التى عاش فيها معظم اليهود، وازدهرت أوضاع اليهود الاقتصادية فى الشرق إبان الفترات التى كانت تقوم فيها القوى العظمى بفرض نفوذها عليها أو احتلالها .

إن اليهود كانوا مندمجين فى حياة المجتمع فى بلدان الشمال الافريقي . وكانوا على قدر كبير من النشاط فى المجال الاقتصادى . ولم تقتصر أنشطتهم على

المعاملات التجارية الضخمة وإنما شملت الاشتغال فى كافة مجالات التجارة . وفى مجال الوساطة بين القرية والمدينة ، وكانت الروابط الاقتصادية بين اليهود والمسلمين تعتمد على حجم الرعاية التى كان يقدمها المجتمع سواء الإسلامى أو القبلى إلى اليهود .

## النشاط اليهودي :

انحصرت أنشطة اليهود الاقتصادية فى ممارسة عدد محدود من المهن ، فقد عملوا فى المهن اليدوية أو بالتجارة . ولم يتسع حجم أنشطتهم الاقتصادية إلا بعد أن تزايد فى نهايات القرن التاسع عشر حجم تدخل القوى الأجنبية التى ساهمت فى تحسن أوضاع اليهود الاقتصادية ، والتى أتاحت لهم العمل فى كافة الهيئات الإدارية والحكومية وازدهرت أوضاعهم ، و توسعت أنشطتهم الاقتصادية ، مما كان يؤدى بطبيعة الحال إلى تحسن أوضاعهم الاقتصادية بشكل ملموس . وإذا كان العصر الحديث قد شهد ثراء بعض التجار اليهود ، فقد أتاح لهم المساهمة فى البنوك ، وأنعش أسواق المال ، وتفوق اليهود على غيرهم بسب حصولهم على قسط كبير من التعليم ، وبسب إجادتهم اللغات الأجنبية .

وبشكل عام يمكننا القول بأنه كان لليهود وجود قوى فى البلدان التى لم تكن أنظمتها تعاديهم ، فاستوطن الكثيرون منهم اليمن ، وأقام الكثيرون منهم فى مدينتى الحديدة وصنعاء ، ولعب هؤلاء التجار دور الوسيط التجارى بين بلدان الشرق وأوربا ، وبرز اليهود فى مجال الوساطة التجارية بعد أن تسببت المتغيرات الاقتصادية والسياسية فى انهيار كل من الصناعة والزراعة فى بلدان الشرق ، كما أنه كان لليهود تراث عريق منذ القرون الوسطى فى الاشتغال بالتجارة بين حوض البحر الأبيض المتوسط ، وشبة القارة الهندية ، والذى ساعد على تطور وضع اليهود أنه أقيم فى أوساطهم نظام تعليمى حديث ساعد على الارتقاء بثقافتهم ، كما ساعدت

العلاقات الوثيقة التى أقامها التجار اليهود فى الشرق مع أوربا ، ومعرفتهم باللغات الأجنبية على التفوق على التجار المحليين.

إن تزايد تأثير القوى الأوربية العظمى على الشرق كان فى صالح يهود الشرق ، حيث أسهمت هذه القوى فى تحسين أوضاع اليهود الاقتصادية والسياسية ، ولا شك أن تطور أنشطة اليهود الاقتصادية والتعليمية أدى إلى تحسن أوضاع اليهود الاجتماعية وظروفهم المعيشية ، وأن العائلة اليهودية فى كل بلدان الشرق حرصت دائما على الاحتفال بالأعياد اليهودية ، كرأس السنة اليهودية ، ويوم الغفران ، والحانوكاه . وتمسكت العائلة اليهودية أيضا بالتعاليم الرئيسية للديانة اليهودية مثل تلك الخاصة بالختان والزواج والطلاق ودفن الموتى .

- عيد رأس السنة اليهودية : أول شهر أكتوبر .
- يوم الغفران : اليوم العاشر من شهر أكتوبر .
- الحانوكاه : عيد إضاءة الشموع .

وبالرغم من أن اليهود تأثروا بالفكر الغربى إلا أنهم لم يخضعوا للثقافة الأوربية ، وهذا التأثر كان ممتزجا بصبغة شرقية تجلت مظاهرها فى اللغة وشكل الملابس والفنون ، ونجد على هذا النحوأن المجتمع اليهودى بالشرق كان شأنه شأن المستنيرين من المسلمين الذين تأثروا بالثقافة الأوربية ، ولم يدفع تأثر اليهود بالفكر الغربى للتنكر للطابع الشرقى لثقافتهم ، والانفصال من الناحيتين الثقافية والاجتماعية عن المجتمع الإسلامى .

وقد أثرت مسيرة الحداثة أيضا فى البنية الاقتصادية للطائفة اليهودية ، ولذلك تضاءل فى المجتمع اليهودى عدد المشتغلين من اليهود فى المهن اليدوية، وتزايد فى المقابل عدد المشتغلين منهم بالتجارة وفى المهن الحرة ، وأدى هذا التحول إلى إتساع دائرة علاقات اليهود بالأوربيين ، سواء من المقيمين منهم فى الشرق أو فى بلدانهم ، وإلى تزايد حجم تطلعات اليهود ، فيما يتعلق بموقف

المجتمع الإسلامي في العصر الحديث تجاه اليهود فقد ظل يشعر بأن اليهود وسائر أبناء الأقليات الدينية يعدون بمنزلة أقلية لها حق ممارسة شعائرها دون إزعاج ، وبحق التمتع بنوع من الحكم الذاتي التنظيمي الديني .

وقد ظهرت في العصر الحديث هيئات جديدة كان من أبرزها طوائف الحرفيين التي شكلت منذ منتصف القرن الثامن عشر قوة اجتماعية وتنظيمية واقتصادية على درجة كبيرة من الأهمية ،كما احتلت فئة المثقفين اليهود منذ القرن التاسع عشر العديد من المناصب القيادية . وكان من بين مظاهر الحداثة في منتصف القرن التاسع عشر أنه قد صدرت منذ هذا الحين العديد من الصحف اليهودية . ولعبت هذه الصحف دورا ضخما في الأوساط السياسية في بلدان سائر اليهود فيها . وكان من مظاهر الحداثة التي شهدها المجتمع اليهودي منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر أن الشباب أصبح يشغل مكانة بارزة في الأوساط القيادية ، وأنه سعى لتوجيه المجتمع اليهودي نحو درب الحداثة .

وليس من شك في أن الإصلاحات التي طرأت على النظم المتبعة في الأوساط اليهودية بالبلدان الى كانت تستقر بها ، عبرت عن حجم التحولات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي شهدها المجتمع اليهودي في العصر الحديث كان يهود شمال أفريقيا حتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر مرتبطين بتعاليم الشريعة الإسلامية ، ولذلك كان اليهود ينعمون ، حتى ذلك الحين ، بوضع أهل الذمة ، ومنحوا بموجب هذا الوضع حق إدارة مؤسساتهم ، وكل ما يتعلق بشئون حياتهم الداخلية ، وتحسنت أوضاع اليهود في بعض البلدان الأخرى لإصلاح نظم الحكم فيها ، وظهر ذلك في كل من مصر وليبيا في القرن التاسع عشر .

وعن موقف السلاطين في الغرب خلال عامي ( ١٨٢٢ - ١٩١٢ ) تجاه اليهود، فقد تبنوا موقفا طيبا إزاءهم ، وعرف عن المولى عبد الرحمن ( ١٨٣٣ - ١٨٥٥ ) تبنية لموقف طيب من اليهود ، إذ منح التجار اليهود تسهيلات عديدة ،

أتاحت لهم فرصة التنقل بحرية فى كافة أرجاء المغرب . والسفر منها والعودة إليها كما سعى ابنه المولى محمد ( ١٨٥٩ - ١٨٧٣ ) إلى تحسين أوضاع اليهود القانونية . وكانت هذه المحاولة وثيقة الصلة بالمساعى التى قام بها موشيه مونتيفيورى ، الذى تقدم بمذكرة إلى السلطان دعا فيها إلى تحسين أوضاع يهود المغرب بشكل مشابه لوضع يهود تركيا الذين تحسنت أوضاعهم خلال الخمسينيات من القرن التاسع عشر . وأصدر السلطان بناء على هذه المذكرة مرسوما ملكيا دعا فيه إلى تحسين أوضاع اليهود ، ولكن هذا المرسوم كان شديد الشبه بما ورد فى الدستور التونسى بشأن اليهود ، فجاء فى البند الثانى من هذا المرسوم أنه من الواجب أن نتعامل بشكل رحيم مع اليهود الذين وضعهم الله تحت رعايتنا ، وكان هذا المرسوم يتضمن إشارة صريحة إلى أن السلطة ترى أن اليهود يعيشون تحت رحمتها ، ومع هذا تجد الإشارة إلى أنها كانت المرة الأولى فى تاريخ يهود المغرب التى يصدر فيها مرسوم ملكى شامل يطلب معاملة اليهود وفقا لمبادىء العدالة والمساواة ، الأمر الذى يعنى أن السلطان دعا إلى مساواة المسلمين باليهود ، ومن ثم بالمسيحيين ، وقد أثبت بعض الباحثين أن يهود المغرب خاصة الذين أقاموا فى القرى نعموا بالاستقرار والهدوء .

فهذه صورة من موقف المجتمع الإسلامى تجاه اليهود ، وبالتالى تجاه المسيحيين ، فقد أثرت التغيرات القانونية والقيادية ، على موقف المجتمع تجاه اليهود ، فأصبحت صورة اليهودى فى عيون المسلمين ، صورة ذمى له ما لكل شخص يعتنق دينا ما من الحقوق والواجبات ، وما يستتبع ذلك من السلوكيات فى الحياة اليومية . وفى الحالتين الاقتصادية والثقافية . وترجع أصول صورة اليهود فى ذهن المسلمين فى العصر الحديث إلى الفترة التى جمع فبها القرآن الكريم ، والتى دونت فيها الأحاديث ، ومع التعلم والثقافة عدلت الصورة فى وعى المحتمع الإسلامى .

## اليـــهـــود والاقتـصـاد :

استمر اليهود حتى القرن الثامن عشر في مزاولة أنشطتهم الاقتصادية التقليدية التى اعتادوا أن يمارسوها فى تركيا وبلدان البلقان طيلة القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فاستمر اليهود في العمل كوسطاء في الأسواق المالية ، وكعملاء في مجال التجارتين الداخلية والخارجية ، فعمل الكثيرون منهم بالتجارة ، وفي العديد من المهن الأخرى . وبينما عملت أعداد كبيرة منهم في مجال صناعة المنسوجات فإن بعض أبناء الطبقة العليا من المجتمع اليهودى والذين كانوا المقربين إلى رجال السلطة في القرن الثامن عشر ، عملوا إما كمستشارين أو أطباء في أوساط الدوائر الحاكمة .

ومع تزايد حجم القوى العظمى في شئون الدولة خاصة منذ نهايات القرن الثامن عشر ، تزايد أيضا نشاط المسيحيين في مجال الاقتصاد فسيطروا على مجال التجارتين الخارجية والداخلية ، ومجالات المعاملات المالية ، وبعض الصناعات التى اعتاد اليهود الاشتغال بها .

وليس من شك في أنه كان من بين عوامل نجاح المسيحيين في التجارة أنهم كانوا على قدر كبير من الثقافة والمعرفة بالتكنولوجيا الحديثة .

وقد برز اليهود في مجال التبغ وفي مجال استيراد السلع بعد الصحوة في تطور الأوضاع الاقتصادية ،وأصبح لليهود مخازن ضخمة كانوا يخزنون بها السلع التى يستوردونها .. وأسس اليهود آنذاك ورشا لإنتاج الصابون والماكينات ومواد الطباعة . كما أسسوا بنوكا ساهموا في إدارتها إما عن طريق تمويلها ، أو عن طريق العمل بها وإدارتها ، وكان من بين مظاهر الثراء التى عمت المدينة أنه ظهرت بها فئة من الأثريا شيدت قصورا ضخمة خارج المدينة ( المدن التركية وسالونيكا ) .

وفيما يتعلق بالمسيحيين فقد كانوا متأثرين بأفكار حركة التنوير ، أكثر من اليهود ، فبدؤا منذ القرن التاسع عشر فى إنشاء المدارس التى تتبع المناهج التعليمية الحديثة ، مما أسهم فى نشر أفكار حركة التنوير فى أوساطهم بشكل أسرع من انتشارها فى المجتمع اليهودى.

إن للفرد حاجاته المختلفة سواء كانت ضرورية أو غير ضرورية ، وقد تطورت هذه الحاجات بتطور الإنسان نفسه عبر تاريخه ، وفى محاولة الإنسان إشباع هذه الحاجات ، فإنه يوازن بين الموارد الاقتصادية المحدودة ، والحاجات الإنسانية فى تطورها ، حيث يصدر قرارات للملاءمة بين هذه وتلك ، ومع هذه المحاولات من جانب الإنسان ، يمكن القول بأنه وضع البذور الأولى لمفهوم التنظيم أو التخطيط لأنه يصدر قرارات هى فى ذاتها قرارات اقتصادية لتنظيم الإنتاج أو تخطيط الإنتاج، ولكن على المستوى الفردى . ويتحقق نفس الشىء على المستوى الجمعى ، وإن كان هذا النوع من التنظيم أو التخطيط يتسم بأنه أوسع نطاقا ويختلف فى أسلوبه عن التخطيط على المستوى الفردى .

ومع أن الحق واحد ، فالأهواء كثيرة ومتقلبة ، وبالحق الواحد يدبر الكون كله فلا ينحرف ناموسه لهوى عارض ، ولا تتخلف سنته لرغبة طارئة ، ولو خضع الكون كله للأهواء العارضة ، والرغبات الطارئة لفسد الكون كله ، ولفسد الناس معه ، ولفسدت القيم والأوضاع ، واختلت الموازين والمقاييس ، وتأرجحت كلها بين الغضب والرضا ، والحب والبغض ، والرغبة والرهبة ، والنشاط والخمول ، وسائر ما يعرض من الأهواء والتغيرات والانفعالات و التأثرات .

يد الله تدبر الكون كله ، وتنسق :أجزاءه ، والبشر جزء من هذا الكون ، فأولى أن يشرع لهذا الجزء من يشرع للكون كله ، ويدبره فى تناسق لا يخضع معه نظام البشر للأهواء وإلا فسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، ولهذا يقول الله تعالى:(( لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون )) (

الأنبياء ٢٢ ) وتتصارع القوى المختلفة ، ويقرر الله تعالى الغاية من هذا الاصطراع أن النصر للعقيدة لا للقوة المادية ، وللإرادة الإلهية لا للكثرة العددية ، فالصلاح فـى الأرض هو الغاية ، والتمكين للخير بالكفاح ضد الشر وفى هذا يقول الله تعالى : (( ولـو لا دفـع الله النـاس بعضـهم ببعـض لفسـدت الأرض ولكـن الله ذو فضـل علـى العالمين)) ( البقرة ٢٥١ ) . ولولا أن فى الطبيعة التى فطر الله الناس عليها أن تتعارض مصالحهم ، لما انطلقت الطاقات ، ولما ظلت الحياة أبدا يقظة عاملة مستنبطة لذخائر الأرض ومستخدمة لقواها وأسرارها الدقيقة ، ليكون فى النهاية الصلاح والتطور إلى أفضل . فالأرض صالحة لإشباع حاجات كل الناس ( فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ) بصرف النظر عن جنس أو دين ، فالمسلم حينما يتعامل مع الموارد التى سخرها الله له ، لا يتصرف - أو هكذا يجب ألا يتصرف - فى عزلة عن غير المسلم ، يهودى كان أو مسيحى ، وحتى لا يتجاهل حق هذا وذاك فى أن ينتفع بنعم الله فى الأرض ، تلك هى السماحة التى أوصى الله بـها أصحاب الديانات ، والله يقول للجميع :" الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا و ارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " ( طه ٥٣ - ٥٥ ) .

## روح جـديـدة :

وجدت روح جديدة مع ظهور الإسلام تحرر فيها العقل اليهودى ، ووجد إمكانات لم يكن يعرفها من قبل ، عندما أتقن اليهود لغة الإمبراطورية الإسلامية الممتدة من غرب الصين وجنوب روسيا ، والكثير من جزائر المحيطين الهندى والهادى ، إلى أقصى الغرب على سواحل المحيط الأطلسى فى المغرب وأسبانيا فهذه اللغة العربية، وهذا الأمن المطلق الذى كفله الدين الإسلامى لأهل الكتاب ، إلى جانب الحرية والرخاء قد أطلقت اليهود من عقالهم ، فأقبلوا على إعادة النظر فيما تراكم عندهم

من تراث دينى عبر العصور ، فى التوراة وكتب الأنبياء وأسفار الحكمة المودعة فى ( العهد القديم ) ثم فى المرويات الشفهية الشرعية ( الميشنا ) ، ثم شرح هذه الأخيرة شرحا موسوعيا يجمع بين الفقة والقصص والأساطير ( التلمود ) وما صحب ذلك من محاولات للتفسير والتكميل ( المدراش ) ، واتضح للمثقفين اليهود أنه لا مناص من مجاراة التيار الإسلامى فى الدين ، وإلا افتتن أبناء ملتهم بمتانة هذا الدين الجديد وحضارته ومرونته فاندمجوا فيه وهذا ( الاندماج ) كان دائما الشبح المخيف لكل علمائهم وفقهائهم ، فاحتالوا حتى يستفيدوا من خيرات الإسلام دون أن ( يذوبوا ) فى حضارته ، لا سيما أن تشابه اللغة العربية بالعبرية التوراتية ، والآرامية التلمودية قوى جدا ، كما أن القرآن الكريم قد تشدد فى دعوته إلى التوحيد ، وهى صلب الدعوة الموسوية - وأشاد بمآثر موسى عليه السلام . ومن خرج معه من بنى إسرائيل هربا بعقيدتهم من كفر فرعون وجبروته وظلمه ، ووصل افتتان اليهود بالعرب إلى أنهم قلدوهم فى آدابهم وشمائلهم ، حتى تسمى الكثيرون منهم بأسماء لا تترك بينهم وبين العرب فرقا ، فعالمهم فى بغداد العباسية سعديا ، عرف باسم سعيد بن يوسف الفيومى ، وأستاذه فى العقائد والشريعة كان اسمه أبو زكريا يحيى بن داود الطبرى .

ويشعر الباحث فى تاريخ الشريعة اليهودية فى العصر الإسلامى بأن الفقيه اليهودى كان ابنا للفقيه والمفسر والمحدث والمفتى المسلم ، وبعكس الملل الأخرى فإن الإسلام كان مع أهل الذمة فى أقصى درجات التسامح والمساواة والكرم ، حتى لاحظ مؤرخو اليهود - من اليهود أنفسهم - أن ما ظهر فى تاريخ الإسلام من اضطهاد لأهل الذمة إنما ظهر فقط فى ظروف وجدت فيها الأمة الإسلامية نفسها فى حالة فقر وضعف وحرب .

أما والأمة الإسلامية قوية عزيزة الجانب لا يفكر الأعداء فى النيل منها ، فإن الأقليات الدينية تعيش فيها سعيدة آمنة لا تكاد تشعر بأنها أقلية ، وهذا بعكس معظم

أمم الأرض . إذا أحست بالقوة انقضت على من عدها من الأقليات الدينية والعنصرية اللونية - وبخاصة اليهود - فأوسعتهم تعذيبا وتنكيلا وتشريدا .

ومن علماء اليهود الذين تأثروا بمناهج الفقه الإسلامى ، عوبديا بن أبراهام إيطالى - ومن رواد العلم الذى حملوه عن المسلمين إلى أبناء ملتهم من اليهود فى شمال أفريقيا والأندلس إسحق بن يعقوب الفاس ، أشهر رواد الشريعة اليهودية وشيوخها المتقدمين ، ومن أشهر كتبه التى ألفها " كتاب الأحكام " وأكثر أبوابه مكتوب باللغة العربية ، وبهذه اللغة كان يكتب ردوده إلى فقهاء اليهود فى جميع الأقطار إذا طلبوا منه الإفتاء فيما يواجهونه من معضلات ، وهناك عالم آخر هو شمعون بن صيمح ، المعروف باسم دوران .

وفى الأندلس ، استطاع عبد الرحمن الأموى أثناء خلافته وحكمه أن يجعل منها ومن عاصمته قرطبة الدولة الأكثر حضارة فى كل أوربا . وأحس يهود أسبانيا بأن الإسلام قد أنقذهم من الاضطهاد والعبودية والتنصير ، والابتزاز الاقتصادى ، فأخلصوا لهذه الدولة الأموية الإسلامية وتفانوا فى خدمتها ، وفى الاستفادة من هذه الحضارة الإسلامية الشامخة لإعادة بناء مجتمعهم اليهودى المتصدع ، على أسس من العلم والأدب والفكر فى داخل دينهم ولغتهم ، إذ كانوا بحكم الشريعة الإسلامية من أهل الكتاب ، يمارسون عبادتهم بحرية تامة ، ويؤدون واجباتهم الدينية باللغة التى يختارونها ، بل شغل كثير منهم مراكز مرموقة فى هذه الخلافة الإسلامية ، وفى مقدمتهم حسداى بن إسحق بن شبروط ، الذى خدم فى بلاط عبد الرحمن الثالث الأموى ، ثم فى عهد خلفه الحكم الثانى . كان حسداى طبيب القصر ، وكان يقوم بعمل مراجع فى بيت المال ، لاسيما ما يتعلق من ذلك بالجمارك والضرائب كما كان مستشار الخليفة فيما يتصل بالعلاقات السياسية الخارجية ، لأنه كان يجيد عدة لغات منها العربية واللاتينية والإسبانية والعبرية والآرامية والبربرية ، واقتفى أثر كبار وزراء المسلمين ، من حيث اتساع الثقافة .

وتشجيع الأدباء والعلماء وحثهم على التقدم دائما نحو الأحسن ومكافأتهم عليه . وسهل للطلبة اليهود تحصيل العلوم . فشجع الأثرياء من أبناء ملته على إنشاع جامعة يهودية فى مدينة ( أليسنة ) القريبة من قرطبة .

وقد ورث حسداى عادة تقريب الكتاب والشعراء والأدباء وتشجيعهم عن أبيه . وكان من أوائل من قربهم من أدباء اليهود " مناحم بن سروق " إذ أحضره من طرطوشه إلى قرطبة وهيأ له أسباب معاشه وراحته . وعينه كاتبا له فى رسائله باللغة العبرية . وأشهرها رسالته إلى مملكة بولان فى إقليم الخزر ، وكان ملكها ورعيته قد اعتنقوا الدين اليهودى . وأشار فى هذه الرسالة إلى فخامة الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، وإلى تسامح المسلمين مع اليهود .

كانت مذاهب التوحيد التى تثير أعنف الجدل بين المسلمين قد تسربت إلى اليهود ، فقام عنان بن داود - من شيوخهم فى الدين - برفض التلمود واعتباره بدعة وضلالة ، وتأثر فى ذلك بمذهب المعتزلة المنتشر فى تلك الحقبة ، لا سيما فى انقباضه عن الأخذ بالحديث النبوى الشريف ، إلا ما تواتر بلفظه ، واستفاض فى الأمة ، وكانت نظرة اليهود إلى التلمود على أنه مجموع المرويات المعنعنة عن علمائهم . تشبه نظرة أهل السنة إلى الحديث الشريف ، فكتب سعديا - بالعربية - رسالة عنوانها ( الرد على عنان ) يدافع فيها عن التلمود . واهتم سعديا بمتابعة المذاهب الإسلامية من السنة والشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرهم ، وما كان يدور بينهم من جدال ، فأعجبه من المعتزلة تأويلهم فى الآيات التى يحتمل ظاهرها نسبة الله تعالى إلى الجهة أو الهيئة أو المادة . وأعجبه من أهل السنة الرجوع الى المرويات الشفوية إذا كانت تضيف مزيدا من الشرح إلى الآيات ، وأعجبه من الأشاعرة جهودهم فى التوفيق بين العقل والفعل . وانتشرت الثقافة اليودية التى بعثها الإسلام إلى الحياة فى مواطن لليهود لم تصل إليها الثروة الفكرية العربية أو الإسلامية . ومن هذا المنطلق السمح الرحيب انفتح أمام اليهود باب العلوم

والآداب والفنون . ولا ننسى أن نذكر أثر القرآن الكريم فى ضبط القراءة عند اليهود فى كتبهم ، فضلا عن النطق الصحيح للحروف ، حتى أنهم كادوا يذهبون إلى تسمية التوراة أو كتاب العهد القديم ( المصحف ) . كان اليهود فى ذلك الزمان يرون الحضارة والفخامة والتقدم فى كل ما هو عربى واسلامى ، حتى أقبلوا على تسمية أولادهم بأسماء ( مشتركة) بين الملتين مثل موسى وإبراهيم وإسحق وزكريا ويحيا ، وأحيانا أسماء عربية مثل ابن غياث وأبى الوليد مروان وأبى العافية .

**موسى بن ميمون:**

هذا المفكر اليهودى الأندلس - موسى بن ميمون - يقف فى بؤرة تاريخ الفكر الدينى اليهودى ، بل فى تاريخ التطور الفكرى العالمى ، وكأنه أمة واحدة ، ألف العديد من المؤلفات أشهرها فى الدين اليهودى ، كتاب " دلالة الحائرين " وهو بحث دقيق فى العقائد اليهودية ، يقول فيه : بأن الله تعالى لا يمكن تصوره من المخلوقات ، فهو المطلق واللانهائى ، فوق الزمان والمكان والحوادث والمتغيرات ، خال من المادة ، مبرأ عن الشبيه ، ذاته هى مجموع صفاته التى يستحيل فصل بعضها عن بعض ، وهو فى كماله الروحانى المحض يختلف عنا تمام الاختلاف ، وهو - مع ذلك - يخاطب الناس بلغاتهم على ألسنة رسله ، وهذه الألسنه التى ينزل بها الوحى الربانى تتجه إلى عامة الناس فى حدود مستواهم من الفهم والعلم ، أما الخاصة من العلماء فعليهم أن يؤولوا كلام الله تعالى إلى الروحانية البحتة والنورانية المجردة ،ومن ثم أنكر البعث والنشور بالأجسام وجعل القيامة والثواب والعقاب والحشر والحساب للأرواح فقط . وكان عالما بشريعة اليهود وأسرارها ، وصنف شرحا للتلمود ، الذى هو شرح التوراة وتفسيرها ، مع أن التلمود لا تجد فيه شيئا يتعلق بالآخرة . ولما أظهر شعار الإسلام ، التزم بجزئياته من القراءة والصلاة وقد كان

موضوعيا ، ينقل ما وصل إليه من معلومات من غير انفعال أو تعصب . حتى لو كان الأمر يتعلق بغير المسلمين .

فاليهودية والإسلام يتعانقان تحت شعار السماحة التى تحتويها الأديان . حتى أننا نرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعين بستنائى أميرا على يهود الدولة الإسلامية ، وكان ذلك مثارا لحكايات وأساطير كثيرة لدى المؤرخين اليهود حتى فى العصر الحديث . ويتحدث المؤرخون اليهود أيضا عن مرسوم إسلامى صادر من أمير المؤمنين على بن أبى طالب بتعين " مار إسحق " حاخاما أكبر للكوفة ، ورئيسا لليهود فى البلاد الإسلامية . ونلاحظ أن علاقة اليهود بالإسلام أثارت اهتمامهم وسرورهم فى أول ظهور الدين الحنيف ، والرسول عليه الصلاة والسلام يناضل كفار مكة من أجل التوحيد ، ولنا أن نتصور مبلغ الحرية التى كان يحظى بها اليهود فى ظل الإسلام ، لدرجة أن جامع قرطبة ما كان يمانع فى حضور اليهود وغيرهم من أبناء الملل الأخرى ، دروس النحو واللغة والآداب والمنطق والفلسفة ، وكان اليهود فى العراق قد عرفوا مناهج المسلمين فى وضع قواعد لغتهم نحوها وصرفها . فألف سعديا الفيومى كتابا باللغة العربية فى قواعد اللغة العبرية .

وقد واءم ابن ميمون بين الشريعة والعقل - على نهج فقهاء المسلمين ولكن بالاستعانة المباشرة بفلسفة أرسطو . وكان موسى بن ميمون رجل سياسة أيضا . ويظهر ذلك فى رسالته إلى يهود اليمن وهم فى أوج أزمة من القهر ترمى إلى إرغامهم على الانتقال من اليهودية إلى الإسلام ، فأبى عليهم ذلك ، أوصاهم بالصبر والابتعاد عن أن يكونوا طرفا فى معركة هم فيها الجانب الضعيف . وهون عليهم الثبات حتى الموت . وعدم التفريط فى دينهم . وهذه الرسالة تمثل ردا عمليا على من اتهموه بأنه كان فى الأندلس قد اعتنق الإسلام ، وشهادة للإسلام على احترامه لحرية العقيدة عند أهل الذمة إذا سالموا ، حتى ولو لم يسلموا ، فيما عدا جهات كانت سياسيا معرضة لانهيارات خطيرة ، فكانوا تحت سيطرة الفزع الذى يتهدد هم

يحاولون سد جميع الصدوع فى بنائهم الاجتماعى الإسلامى ليتحصنوا من هذه الأخطار .

و قد كان موسى بن ميمون نفسه أول الحائرين فى كتابه " دلالة الحائرين " فقد تضاربت فى نفسه اتجاهات متضادة ومتعارضة - شأن العلماء - فهو رجل شريعة يهودية ملتزم وصارم فى هذا الميدان ، وهو يهودى شديد الانتماء إلى قومه ، حائر فى عقيدته ، ولكنه ثابت فى عصبيته الاجتماعية والسياسية والتاريخية لقومه . ولعل كتابه هذا كان عملا سياسيا يثير الكثير من الاستغراب والمعارضة بين اليهود بعضهم بعضا ، فيزداد تمسكهم بوجهات نظرهم من متسامحين أو متشددين ، فلا يفكرون بعد ذلك فى الانتقال من يهوديتهم إلى مسيحية أو إسلام ، ما دامت الشريعة عندهم ما تزال صلبة ، والعقيدة ما تزال مرنة تقبل الكثير من القيل والقال ، والنقاش والجدال ولأن الرجل لم يقرأ أرسطو إلا مشروحا ومترجما إلى العربية فى العالم الإسلامى ، فإنه حذا حذو أر سطو من خلال شروحهم لكتبه فى المنطق والطبيعة ، وما وراء الطبيعة . ثم أفاض ابن ميمون فى التدليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وأنه تعالى لا يتعدد ولا يتجزأ ، ولا يتفرق ويتحد ، ولا ينحل ولا يتماسك ، وأنه روحانية بحتة ، تهيمن على كل المواد ، ولا مادة لها وأنه واجب الوجود ، وعلة العلل ، وأنه حكمة محضة ، وحق محض .

## الوصايا العشر :

السماحة فى الدين اليهودى ، تتضمنها الوصايا العشر التى تكررت فى التوراة مرتين الأولى فى ( سفر الخروج ) والثانية فى ( سفر التثنية ) وهذه الوصايا العشر هى - والنص من سفر الخروج ، الفصل العشرين : " ثم تكلم الله بجميع هذا الكلام قائلا :

١- لا يكن لك ألهة أخرى أمام وجهى ، فأنا الرب إلهك ، الذى أخرجك من أرض مصر من دار العبودية .

٢-لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة مما فى السماء من فوق ، ولا مما فى الأرض من تحت ، ولا مما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لها ، ولا تعبدها لأنى أنا الرب إلهك ، إله غيور ، أتعقب ذنوب ( الآباء ) فى الأبناء ، إلى الجيل الثالث والرابع من أعدائى ، وأحسن إحسانا إلى ألوف من أحبائى ومطيعى أوامرى .

٣-لا تحلف باسم الرب إلهك باطلا ، لأن الرب لا يعفو عمن نطق باسمه باطلا .

٤-اذكر يوم السبت لتقدسه . فى ستة أيام تعمل . وتنجز كل أعمالك ، واليوم السابع سبت للرب إلهك : لا تصنع فيه عملا ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ، ونزيلك الذى فى داخل أبوابك . لأن الرب خلق السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها فى ستة أيام وفى اليوم السابع استراح ، ولذلك بارك الرب فى يوم السبت وقدسه .

٥-أكرم أباك وأمك لكى يطول عمرك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك .

٦- لا تقتل .

٧- لا تزن .

٨- لا تسرق .

٩- لا تشهد على أحد من قومك شهادة زور .

١٠- لا تطمع فى بيت أحد من قومك ، لا تشته امرأته ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئا مما يملكه .

ولعل فى هذه الوصايا العشر ، ما يوحى بسماحة هذا الدين السماوى . فاليهودية هى أول دين سماوى له كتبه ، وأن الإسلام هو آخر هذه الأديان السماوية . وأن الأحدث قد يتأثر بالأقدم .

# الفصـــل الثــانى

## المسيحيـــــة



## المسيحية :

### تنقسم المسيحية إلى ثلاثة مذاهب رئيسية :

هى الأرثوذكسية ، والكاثوليكية ، ومجمل الكنائس البروتستانية . فالكنائس الأرثوذكسية هى المتمسكة بالعقيدة الأولى التى تبلورت فى المشرق إبان القرون الأولى للمسيحية ، ولقد نشأ المذهب الأرثوذكس من وقتها واستمر موجودا فى المشرق العربى ، ولكن لمعظم هذه الكنائس مجموعات قد هاجرت فى النصف الأخير من القرن ٢٠ ، ويمكن لهذه المجموعات أن تكون جسرا بين الإسلام وغير المسلمين .

أما الكنيسة الكاثوليكية - فهى التى يرأسها جميعها بابا روما ، ويديرها وفق آليات شفافة ومنضبطة من الفاتيكان فى إيطاليا ، وهى أكبر كيان لمذهب مسيحى موحد ، وقد حدث بين الأزهر و الفاتيكان لقاءات ، تمت عبر " بروتوكول " يقنن هذه العلاقة منذ سنوات ، وتجرى هذه اللقاءات بشكل هادىء ، يؤثر الحديث على المعايشة ، والتسامح دون تفاصيل .

وقد أصبحت الكنائس البروتستانتية أهم قوة نتجت عقب حركات الإصلاح الدينى والتى بدأها مارتن لوثر عام ١٥١٧ .

وتعتبر الكنائس الأرثوذكسية هى الأقدم تاريخيا وهى كالآتى :

١ - كنيسة الإسكندرية والكرازة المرقسية للأقباط ، وهى أكبر المجموعات البشرية المسيحية فى عالمنا العربى ، ويشار إليها فى مراجع التراث الإسلامى بعبارة " قبط مصر " وهم الكثرة العظمى من مسيحى مصر ويرأس هذه الكنيسة قداسة الأنبا شنودة الثالث ، وفى النصف الثانى من القرن العشرين ، أنشأ أقباط المهجر كنائس عديدة فى أربعة أركان الأرض .

٢-كنيسة أنطاكية : وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس . ولها نفوذ ووجود فى سوريا ولبنان ، كما أن لها " أبروشيات " أو " معتمديات " فى كثير من دول العالم بما فيها أمريكا وأوربا الغربية وصولا إلى الأرجنتين وشيلى والبرازيل واستراليا ، ومن ثم فهى من المجموعات المؤثرة هنا وهناك لبناء جسور الثقافة لاعتزازهم بالانتماء إلى العروبة .

وبجوار هاتين الكنيستين المهمتين - ولهما جذور وطنية تمتد لنحو ١٩ قرنا متصلة - توجد كنائس أخرى صغيرة ، انحازت إلى عقيدة الملك أو الإمبراطور البيزنطى مع نهاية المجمع المسكوئى .

٣-كنيسة الإسكندرية وسائر أفريقيا للروم الأرثوذكس ، وليس لهذه الكنيسة إلا وجود محدود جدا فى القاهرة والإسكندرية والزقازيق ، كما أن لها أتباعا ملتزمين فى بعض بلدان أفريقيا .

٤-كنيسة الروم الأرثوذكس فى القدس وتكمن أهميتها فى أنها هى التى كانت ومازالت تدير الأماكن المسيحية المقدسة فى بيت لحم والقدس وغيرها ..

وبعد ظهور الإسلام ، دخل الخليفة عمر بن الخطاب القدس عام ٦٣٨ م ، وقدم له البطريرك صوفر دنيوس مفاتيح المدينة المقدسة فسلم عمر " ميثاق العهد العمرى " الشهير الذى ينظم العلاقة بين الكنيسة والخلافة .

يؤكد الدكتور جودت جبره ، الأستاذ الزائر بجامعات أمريكان أن منطقة مصر القديمة بها أشهر ثلاث كنائس هى كنيسة أبو سرجة حيث يوجد بها كهف العائلة المقدسة ، وكنيسة أبو سيفين ، وكنيسة القديسة بربارة ، وكلها تعكس طرزا معمارية متميزة ، ويتفق المسئولون على أن الديانات جميعها تظهر فى هذه البقعة فى العالم فقط حيث الديانة اليهودية وتتمثل فى معبد إبراهام بن عزرة ، أحد حاخام اليهود ، وهو يعد أقدم بقعة فى العالم حيث ترجع قصته إلى سيدنا موسى وهو طفل وصل بالصندوق فى النيل بهذا المكان . وعندما جاء سيدنا موسى هذا

المكان وهو صبى ثم وهو نبى صلى به ودعا ربنا أن يحفظ شعبه ؟ ومنذ ذلك الوقت وهو معبد حتى نهاية القرن الرابع ٣٩٥ ميلادية ، وهو بداية اعتبار الديانة المسيحية الرسمية فى مصر تحول المعبد إلى كنيسة ، باسم الملاك مخائيل ، وقد تعرضت الطائفة المسيحية لضائقة مالية لدفع الخراج " الجزية " واضطروا لبيع الكنيسة لليهود، أخذوها وتحولت إلى معبد ، وهو على الطراز البازلكى ، نفس طراز الكنائس، وهو طراز رومانى على شكل مستطيل مقسم إلى ثلاثة أقسام ، بواسطة صفين من الأعمدة تؤدى إلى هياكل ثلاثة ، والمعابد اليهودية من طراز مختلف ولا يوجد بها هياكل .

فمصر القديمة أهم منطقة فى التاريخ للأديان جميعا ، حيث بها أكبر عدد للكنائس فى مصر ، وأهم هذه الكنائس هى الكنيسة المعلقة وكنيسة أبو سرجة ، فيوجد داخل الحصن بابليون وبعض الكنائس بعضها بشمال الحصن ، والآخر بجنوبه، فيوجد بالجنوب أربع كنائس : هى كنيسة الأمير تدرس القبلى ، وكنيسة بابليون الدرج ، وجميع الكنائس على الطراز البازلكى ، وبشمال الحصن ثلاث كنائس كنيسة الأنبا شنودة وكنيسة العدرة الدمشرية ، وكنيسة أبو سيفين .

ويوجد بالمعبد اليهودى الوثائق الجنيزة " وهى مرسلات وعقود وخطابات شخصية بين اليهود والمسلمين الأقباط فى العصر الفاطمى والأيوبى ، وبداية عصر المماليك فهى مهمة حيث تلقى الضوء على تعايش وتسامح فى تلك الفترة بين الأديان الثلاثة .

يقول القس داود نجيب أن الكنيسة القديسة بربارة هى بالجانب الشرقى لحصن بابليون ، وتجاور المعبد اليهودى ويرجع تاريخها إلى آخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ، وقد تعرضت للهدم فى العصر الفاطمى فى القرن العاشر . وعاد بناؤها هى وكنيسة أبو سرجة فى العصر الفاطمى فى القرن العاشر على يد الوزير القبطى " يوحنا ابن الأبح " وهى تتبع الكرس الباباوى المرقصى . وأشار إلى

كلمة قبط وهى تعنى المصرى القديم قبل الفتح العربى وبعد الفتح وإعلان اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد ، كان المسيحيون فقط الذين يستخدمون اللغة القبطية فى الصلاة والمنزل ، واندثرت قليلا حتى أصبح يعرفها الكهنة والشمامسة وبعض الشعب . كما يشير إلى أن اسم الكنيسة يرجع إلى القديسة بربارة وهى تركية الأصل ، ولدت فى أوائل القرن الثالث ، وكان أبوها من الأغنياء وثنى الديانة ولجمالها بنى لها قصرا يحجبها عن الناس وبدأت تفكر فى معرفة الإله وتوقفت عن عبادة الأصنام ، وعرفت المسيحية . وعلم أبوها وغضب وأخذها إلى الحاكم ليعذبها وظلت متمسكة بالمسيحية حتى قتلها أبوها بنفسه بسيفه ونقل رفاتها إلى مصر .

ويؤكد القس يعقوب سليمان أن الكنيسة المعلقة ، وهى الكنيسة التى تسمى بالعدرة ، والقديسة دميانة أو " المعلقة " وقد بقيت الكنيسة فوق حصن بابليون حيث الحصن الرومانى وهى تعلو فوق سطح الأرض . وكانت معبدا رومانيا قبل المسيحية ثم تحولت إلى كنيسة فى القرن الثالث وبداية القرن الرابع . ويرجع تاريخها كمبنى إلى ١٥٠ سنة ، وهى على الطراز البازلكى الذى يشبة فلك نوح ، وتتميز الكنيسة بالمذابح السبعة بالصحن الرئيسى للكنيسة ثلاثة بالجزء الجنوبى ، مذبح صغير أعلى الجزء الجنوبى تسمى باسم كنيسة القديس مارمرقص

وأهمية الكنيسة حيث أول مقر بابوى ( مكان وجود البطريرك ) فى القاهرة ، حيث نقل المقر من الإسكندرية إلى المعلقة فى عهد البطريرك رقم ٦٦ ، كما يوجد بعض رفات القديسين بالكنيسة . ويؤكد القس والكاهن غبريال جرجس ، رئيس إدارة كنيسة أبو سرجة أن الكنيسة داخل دير مارجرجس . وهى وسط مجموعة من الكنائس . وبنيت فى نهاية القرن الرابع مع بداية الخامس ، وهى باسم الشهيدين سرجيوس وداقوس ، شهيدى الكنيسة ، وكانا يعملان ضابطين بالبلاط الرومانى رفضا أن يبخروا الأوثان ، وأعلنوا إيمانهما بالمسيحية واستشهدوا بالرصافة فى سوريا . وأعيد رفاتهما إلى الكنيسة بعد مرور عصر الاضطهاد الرومانى . وتتمير الكنيسة بالفن

البازيلكى ، وهى مقسمة إلى ثلاثة أقسام ، هيكل مقام فوق المغارة التى لجأت إليها العائلة المقدسة أثناء وجودها بمصر ، حيث كانت المغارة داخل الحصن الرومانى " حصن بابليون وأقامت العائلة المقدسة بها ثلاثة شهور وبعد رحلة العودة أقامت بها سبعة أيام بنفس المغارة .

ويشير القس غبريال جرجس إلى أن مصر قد اختصها الله بمجيىء السيد المسيح إلى أرضها ، وأرسل إليها عمرو بن العاص ، وأسس بها جامعا فى الشرق الأوسط دليلا على بركات عظيمة ، وأن هذه البقعة من مصر تعكس اكتمال الرسالات الثلاث فى حب وود ، وقد تجلى فى نفوس الجميع بركات الأنبياء والمرسلين لتحتل المكانة الثانية بعد القدس . كما يوجد كنائس داخل دير مارجرجس ، وهى كنيسة العذرة قصرية الريحان وكنيسة مارجرجس وأيضا كنيسة الراهبات مارى جرجس لصلاتهن فقط . وترجع تسمية مارى جرجس إلى " جورجيوس " وأصبح ينطق جرجس ، وهو اسم يونانى يعنى فلاح ولد فى القدس ٢٨٠ ميلادية ، وعندما بلغ ١٤ سنة مات أبوه ولحق جورجيوس بالجندية ، وماتت أمه ، وذهب ليطلب أن يعمل مكان والده .وكان الحاكم وأصد أر قرار باضطهاد المسيحيين وقد دخل " جورجيوس " فى العذبات المروعة .

وكنيسة مارجرجس للروم الأرثوذكسية تعتبر فى مقدمة الدير ، وعلى الطراز الرومانى ، وهى أكبر كنيسة بالدير وعلى شكل دائرة ، بينما الكنائس القبطية جميعها على شكل سفينة أو فلك نوح ،وقد سميت باسم القديس مارجرجس لأنها شهدت عذابه فى أيامه الأخير . وكنيسة الروم فريدة حيث إنها مشيدة فى أوائل القرن العشرين ، وذات قيمة فنية عالية مما تحتوية على زخارف والشكل والطراز البازيلكى..

أماكنيسة أبو سرجة فلها معالم كثيرة ، كما تحتوى على أيقونات أثرية ومقصورات وزخارف ، ويرجع اسم الكنيسة للشهيد أبى سيفين ، وهو ولد فى سنة

٢٢٤ ميلادية من أبوين وثنيين فى مدينة اسكنطس برومانية . واسمه فليوباتيير . وهو اسم يونانى يعنى محبة الأب ، وكان أبوه وجده يعملان فى صيد الوحوش . وقد وقع جده فريسة لبعض الوحوش ، وترك والده عبادة الأوثان حينما ولد . ولقد عذب أبوه بسبب إيمانه، ودخل المسيحية هو وزوجته وابنه . ويوجد بكنيسة "أبو سيفين" بعض رفات الشهيد أبو سيفين .

كما أن الديانة الإسلامية تتمثل فى أقدم مسجد ، وهو أول جامع فى مصر ، جامع عمرو بن العاص بحى مصر القديمة . وقد بنى المسجد سنة ٢١ هـ ، وعندما دخل الفتح الإسلامى سنة ٢٠ تم ترحيب من جميع المصريين لأن عمرو أمن المسيحيين على حياتهم وممتلكاتهم ، وطلب بعودة البطريرك " الأقباط " بنيامين لممارسة مهامه ، ومما أسعد المصريين وقدموا مساعدات لعمرو بن العاص ، وفى بداية إنشاء المسجد وكان مساحته ٥٠ × ٣٠ ذراع ، وكان بسيطا ثم تطور ، وأهم توسعات كان سنة ٢١٢ .كما حدث ترميمات بالجامع سنة ٧٤ حتى ٩٩ ، وحتى الآن يتم إعادة ترميم وإنشاء إيوان القبلة ، واستعدال العقود ( الحجرية ) بإيوان القبلة وتطوير الأرضيات والإضاءة والمنطقة المحيطة به .

ومع أن غالبية أعضاء الكنيسة هم من الناس العاديين ، وليس فى الغالب منهم من هو قريب من دوائر صناعة القرار ، إلا أن الكنيسة فى جملتها كواحدة من هيئات غير هادفة للربح تسعى لإعادة صياغة المجتمع العالمى بالصورة التى تقتنع بها والمؤسسة على العدالة والسلام . والكنيسة فى تأثيرها على العالم تتبع مستويات ثلاثة للوصول لتحيق هدفها بالتأثير الإيمانى للوصول إلى مجتمع العدالة والسلام

أولا : المعاونة فى تشكيل أخلاقيات المجتمع بغرس مبدأ اللاعنف فى حل الصراعات للوصول إلى مجتمع بناء العدل ، وللكنيسة دور فى إعادة صياغة قيم الجماعة . وصياغة نظرة الناس إلى العالم ، وصياغة الرأى العام الذى يحكم بدوره دوائر صنع القرار ، فطالما ساد الاعتقاد العام بأن الحروب هى الوسائل المقبولة

لإنهاء الصراعات فستبقى دائما نيران الحروب مشتعلة وعلينا أن نعيد صياغة الفكر بأن الحروب تجلب خسائر أكثر من الفوائد . وأن العنف دائما يولد المزيد من العنف بدلا من الاستقرار والأمان .. لابد أن يقنع العالم أن الحرب والعنف ليس هو الوسيلة المشروعة لحل المنازعات بل البحث الجاد لإيجاد وسائل أخرى بعيدة عن الحروب ، واستخدام العنف وتبدأ غرس هذه الأفكار فى الوسائل التعليمية فى المجتمع بداية من الأسرة والمدرسة وإلى وسائل الإعلام كافة .

ثانيا : لإقرار السلام العالمى والعادل بوسائل سليمة تأتى من المؤسسات التى تواجه الاحتياجات الإنسانية ، وعلى المؤسسة الدينية أن تشجع الهيئات التى تهتم بتدبير احتياجات الشعوب الفقيرة من غذاء وكساء للفقير ، وتعليم الجهلاء وعلاج المرضى ومدهم بالمياه النقية والحياة الصحية الكريمة ، وتنمية المشروعات الزراعية والصناعية والاجتماعية حتى تسد الطرق المؤدية إلى توالد العنف وتكاثره ، فالمجتمع القائم على ظروف اجتماعية أفضل من المجتمع الذى تقل فيه منابع العنف والإرهاب والحروب .

ثالثا : على الكنيسة أن تهتم بدورها التأثيرى فى الرأى العام عندما تشجع أعضاءها للقيام بواجبهم الوطنى فى الإدلاء بأصواتهم لاختيار أفضل العناصر التى تؤثر إيجابيا فى استقرار السلام والنهوض بالمجتمع ، وعليها أيضا أن تربى أجيالا يصلحون لتولى المواقع القيادية ، فالتربية هنا ليس فقط للمشاركة بل لحسن المشاركة باستخدام الفكر والذكاء حتى عندما نختار يكون الاختيار الأصلح للمجتمع وللوطن . فحب الوطن ليس أشعارا وأناشيد تردد ، ولكنه عمل شاق وسهر واجتهاد .

دخلت المسيحية مصر والرومان فيها سنة ٦١ م . وكان فى الإسكندرية صراع بين الأجناس والمذاهب المختلفة ، لم تجد فيه حركة التوفيق .. وبعد تفكير تقبلت مصر المسيحية فى صورتها الأولى البسيطة خروجا من البلبة والتية .. وقد عادى

الرومان المسيحية عداء مرا ، مما عطف مصر عليها نكاية فيهم للتعبير عن المقت وإظهار شخصيتها بحرية الاختيار والمغايرة . وتبارى الرومان حتى بعد إيمان الدولة الرومانية بالمسيحية تعذيب مسيحي مصر ، فلم يلن لهم عزم ، بل تنادوا بالاستشهاد وساروا إليه ثابتى الخطو . وأضرم إصرار مصر ، حقد جلاديها فتواصت بالصبر ومضت فى الجهاد يتقدمها " أوريجانوس " لقد مصرت مصر المسيحية ، حتى غدت فيها دون غيرها قبطية . وكلما صالت الآراء اتخذت مصر موقفا وقالت برأى خاص بها من فرط إحساسها بذاتها وطاقة التحدى فيها .

لقد كان البطريرك الاسكندرى رأس الدين المسيحى فى العالم كله قبل رؤسائه فى العاصمة الغربية والعاصمة الشرقية . وإمعانا فى التحدى ، سموا التقويم المصرى ( تقويم الشهداء ) وطار صواب البغى طويلا ، ثم أوقف الجبابرة المذابح وانتهى الأمر باعتناق الإمبراطور " قسطنطين " المسيحية وابتسمت مصر . واهتمت أوربا فى عصر النهضة بالمخطوطات القبطية ، فتوالت الزيارات على مصر لهذا الغرض ، وامتلأت المتاحف والمكتبات العامة فى أوربا وأمريكا بكتابات مصر المسيحية ، وقامت لتدارسها أقسام خاصة بالجامعات ، وذاعت فى اللغات الأوربية ألفاظ قبطية متعددة ، بل إن الأبجدية الروسية دخلت عليها بعض حروف قبطية مأخوذة من الديموطيقية ، بل كان بطاركة الإسكندرية عمد اللاهوت فى العالم المسيحى .

وعن مصر نقلت إيطاليا ، مركز البابوية واليونان وأيرلندا ، مراسم النسك حتى إن دير مونت كاسينو فى إيطاليا يكاد لايختلف عن أى دير ناخومى فى قنا . ومصر فى المسيحية كانت المصدر الأول لعلم اللاهوت بما خطه فيه " أثناسيوس " الذى تألق فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وإن مؤلفاته التى وصفها عن (تجسيد الكلمة ) و ( الرد على الأريوسيين ) و ( الروح القدس ) لتعد ركيزة لكل ما كتبة مشاهير اللاهوتيين . وقد سجل الغرب أثر مصر الروحى فى كتب ( بستان الرهبان ) و

( المعاهد ) و ( المقابلات ) . كما أثرت تعاليم " باخوميوس " فى حركة الإصلاح الكونى ، تلك الحركة الكبرى التى كان لها أثرها فى توجية المدينة فى العصور الوسطى .

وعلى يد مصر وصل التبشير بالمسيحية إلى الجزر البريطانية ، فقد ذكر ( بتلر ) ( أنه يوجد إلى يومنا هذا ببلدة أوليدة ديزرت بأيرلندا قبور سبعة من الرهبان المصريين لا تزال تذكر أسماؤهم فى الصلاة بكنيسة تلك الجهة شاهد امتداد شخصية مصر ) . بل إن أقباط مصرهم الذين نشروا المسيحية فى فرنسا الجنوبية وبلجيكا و سو سيرا ، بل نقلت روما مركز الحضارة الغربية والقسطنطينية مركز الحضارة الشرقية في ذلك الوقت ، كثيرا من تعاليم الدين الجديد عن مصر . وبلغ من النفوذ الروحى لمصر في المسيحية ، أنها كانت ترسل الأساقفة إلى ما حولها من البلاد ، حيث كانت لهم في كل بلد مكانة ممتازة ، تبعت الكنائس فيها الكنيسة فى مصر . فالمطران المصرى فى الحبشة كان رئيسا للكنيسة الأثيوبية والأسقف المصرى في قبرص كان اختصاصه يشمل قبرص و رودس معا ، كما ذكر " برستر " فى بحث نشر بمجلة جمعية الآثار القبطية ، وتبعت المسيحية في النوبة كنيسة مصر حتى نهاية حكم المماليك .

عن مصر قام القديسون أثناسيوس و جيروم ويوحنا و كاسياس و أو غسطينوس و باسبلوس و باتريك ينقل قوانينها وحياة رجالها إلى إيطاليا ومارسيليا واليونان وأيرلندا في القرنين الرابع والخامس الميلادى ، ولا تزال هذه القوانين باقية حتى الآن باليونانية واللاتينية .

يقول ( هرناك ) المؤرخ الألمانى فيما رواه عن الدكتور مراد كامل : ( إن النساك المصريين كانوا يعتبرون فى جميع العصور - حتى فى نظر الغرب - آباء ونماذج الحياة المسيحية الحقيقة ) . وعن آباء مصر صنفت البحوث والمؤلفات التى ترجمت إلى اللغات الأوربية الحديثة مع تراجم حياتهم وتسجيل أقوالهم ، ومن

كتاب هذا الميدان بلاديوس وكاسيان وجيروم وبوسيه صاحب الكتاب الخاص بأقوال الآباء كتاب ( حياة أنطونيوس ) وحده الذى وضعه الأب أثناسيوس استجابة لإلحاح روما ، قد أشعل روح الرهبنة والنسك فى بلاد الغرب .

كانت مصر فى القرون الأولى للمسيحية تابعة للرومان . ومع هذا كانت موئل الأحرار ، فعلى أثر مجمع خلقدونية هرع إليها الأب ساويرس بطريرك أنطاكية . ليإذا من بطن الإمبراطور يوستينوس فطاب عيشه بها ، وحسنت مستقرا ومقاما . وكما تميزت شخصية مصر فى المسيحية ، تميزت ( الغنوسطية ) التى ( لم تظهر فى قوتها إلا فى القرن الثانى حين انتشرت فى مصر .. وفيها أخذت طابعا شاعريا ، وكانت من خلال فالنتينوس أستاذه ومدرسه فيها ، وقد أثبتت الكشوف الحديثة فى نجع حمادى عطاء مصر فى هذا الميدان .

لقد كانت الكنيسة فى الماضى رائدة العمل الاجتماعى والتنموى ، ومع الوقت حلقت المؤسسات والحكومات ، واطلعت على هذا الدور فقامت به ، وعلى الكنيسة البحث عن وسائل أخرى لم تتوافر بعد فى مجتمعاتها حتى تنحو المؤسسات الخيرية نحوها ، وبذلك تكون قد أسهمت فى إعادة صياغة عقل المجتمع إيجابيا نحو السلام العادل بأسلوب سلمى لا بالحروب والعنف .

وهنا لابد أن تعود للأسرة والمدرسة ودورهما فى الأطفال ، والآباء هم أول من يؤثرون على أطفالهم فى أسلوب معالجة المنازعات . ودراسة ميدانية فى بعض المدارس أثبتت أن الأطفال الذين يميلون إلى استعمال العنف فى حل مشاكلهم يأتون من عائلات وبيئات لها هذه الاتجاهات ، وأن الأطفال الذين لا يميلون إلى العنف لهم عائلات لها نفس الاتجاه ، وأثبتت الدراسة أن من الممكن تغيير أنماط الأطفال الذين لهم اتجاهات عنيفة ، إذ أن الأطفال عامة يميلون إلى التأقلم الاجتماعى مع سهولة العدول عن الاتجاهات السلبية التى لا تتوافق مع النمط الاجتماعى فى السلوك . لذلك ينبغى إدخال مناهج تساعد الأطفال على التفكير فى

وسائل مختلفة لحل المنازعات بعيدا عن اللجوء للحرب . وأن يتضمن مناهج العلـوم الاجتماعية مثل هذه الدراسات بدلا من التركيز على الحروب الدولية.

إن المؤسسات الدينية فى العالم يقع عليها دور خطير لإعادة فكر الجماعة وترسيخ العدل المؤدى للسلام ، وباستخدام الوسائل ، ويكفى قـول السيد المسيح " طوبى لصانع السلام ".

ولدت مصر موسى ، وآوت عيسى ، وآمنت بمحمد عليهم السلام . إن مصر قالت بلسان الملك " أوناس " من الأسرة الخامسة فـى الدولـة القديمـة :أنـا لم أشرك بالإله .. أنـا لم أعـق والـدى .. أنـا لم ألـوث مـاء النيـل . ويسجل د . هـول لمصـر أن ( اليهودية استعارت من مصر كثيرا من الشعائر ، ولا ريب أن نفوذ مصر على إسرائيل كـان كبـيرا ) . ويرجـح الأسـتاذ العقـاد أن طائفـة ( الآسـين ) بـين اليـهود نشـأت بالإسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد ، واقتبست مـن مدرسـة الإسكندرية كثيرا من أنظمة العبادات وبعض المذاهب الفلسفية . ويسوق الأستاذ شفيق غربال أكثر من دليـل آخـر ، فمصر فاقت مقاييسها الخلقيـة الوصايا العشر بـألف سـنة . بـل إن مصـر بخلقياتها ومجتمعها سبقت العبريين بثلاثة آلاف سنة وكـان أدبـها ركـيزة للتـوراة . ويقـول العـالم الفرنسـى " أميلينـو " ( إن روح الله القـدوس فـى دسـتور الإيمـان المسيحى إنما يقوم مقام الإله الأم ) فى عالم اللاهوت المصرى .

وجاء عيسى مصر .. ومن مصر وعى ( من مصـر ناديت ابنـى ) . ومـن الأعياد القبطية عيد زيارة المسـيح أرض مصر مع العائلـة المقدسـة ، وهـو طفـل صغير ، وفـى القرآن الكريـم " وجعلنـا ابـن مريـم وأمـه آية وأويناهمـا إلى ربـوه ذات قـرار ومعين " وأقبل على مصر الحوارى مرقص وكتب فيها إنجيله الـذى يعد ( مـن أبلـغ الأنـاجيل أسلوبا وأوفرها حكمة ) مما يعده بعض الباحثين أثرا مـن آثـار مصر فـى ذلـك الوقـت الحوارى الجليل الذى مات فى مصر ودفن فيها .

وفكرة ( المخلص ) عرفتها مصر بعد عصر الأهـرام . وعنها أخذها العبرانيون فالمسيحيون .

عرفت مصر ما بين ١٢٠٠ - ١٠٠٠ قبل الميلاد الشعور بالخطيئة . وبها تأثرت اليهودية فالمسيحية ويتهجد العظيم إخناتون . ويقـول : أنت الذى تنفخ فى الفرخ وهو مضغة فى بيضته فتهبه الحياة. وأنت الذى تتم خلقته فينقر البيضة وهو فى باطنها . فإذا خرج عنها جعل يصىء بقوة تامة وهو يجرى على قدميه ساعة يخرج ) .

هنا ، نـور النور .إنه الله فى هذا النشيد . من علم إخناتون العظيم هذه الأسرار ؟

كانت مصر قبل الأديان أمة وسطا ، الوسط الذهبى كما يقول الدكتور جمال حمدان .. الوسط الخير النبيل إن حضارة مصر أشهر الحضارات احتفالا بالدين . والعمل لقد نفذت مصر إلى القيم الدينية برؤيتها القلبية على أن هناك أنبياء لا نعلمهم ، وفى القرآن الكريم : منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " ( غافر ٧٨ ) .

ويستمر دور مصر على المسرح ، فلم تسقط الأضواء من على قسماتها أبدا ، فقد خرج أشخاص حققوا معنى الدين فى المسيحية والإسلام .

إن الحضارة المصرية هى القاعدة الكبيرة للديانات السماوية بشوقها إلى المطلق ، ونزوعها إلى التجريد وولوعها بالقيم فى الفكر والروح .

**المسيح :**

ولد المسيح عليه السلام فى مجتمع يهودى . وتلقى جل مبادئه منه . الا أنه من البداية سعى إلى إصلاح عقليته الهدمة التى جعلت الله خاصا باليهود . على ما يعنيه هذا الموقف من تناقض سافر مع نصوصهم التأسيسية . مثل موقف إبراهيم عليه السلام من الملك الصادق ملك شالم ، والنبى أيوب وسيرة إينوخ فى التكوين .

وغيرهم من الأنبياء والصالحين الذين كانوا أبرارا على الرغم من كونهم غير يهود باعتراف نصوصهم نفسها . لم تسع اليهودية إلى معانقة الأمم قبل المسيح عليه السلام، فكان جهد اليهود مركزا على تخليص أمتهم من نير الأمم الأخرى ولاسيما الإغريق والرومان وغيرهم .

ومع أن المسيح لم يترك بعده كتابا على غرار القرآن يمكن الرجوع إليه ، فإن الحواريين جمعوا تعاليمه وأقواله فى أربع نسخ سميت بالأناجيل الأربعة ثلاثة منها ملخصة من مصدر سابق لم يعثر عليه ، فسموه المصدر الملخص . وهذه الأناجيل هى إنجيل متى و إنجيل لوقا وإنجيل مرقص وإنجيل يوحنا . فالأنجيل فى الحقيقة مشروع تحول من المركزية اليهودية إلى الأممية .

يقول المسيح " إن مملكتى ليست من هذا العالم " فهو يرفض الملك الأرضى من أساسه ، على التفسير الروحى ، لا الحرفى ، فيفهم من ذلك قوله " وأن ملكوت الله هو فى وسطكم ، أى أن الله هو الملك الحقيقى على قلوب وحياة الناس أجمعين ، وأن عليهم أن يعلنوا اخضعوعهم لله ، وقبولهم لطاعته ، وحفظ وصاياه .

كما أن التفسير الإنجيلى لكلمة إسرائيلُ لم يقصد به شعب عنصرى ، وحيازة أرض ، وإعلان حرب ، بل المعنى الحقيقى للكلمة هو معنى الشعب الذى يعيش لله ، ومع الله فى محبة وتواضع وسلام ومصالحة حقيقية بين الله والإنسان ، وبينه وبين الشعوب الأخرى المجاورة .

وأن الكتاب المقدس وضع القاعدة الذهبية وهى " لا فرق بين الجميع إذ الكل قد صار واحدا.

إن العدل والسلام والسماحة من صفات الله ، بل وغايته نحو البشرية ، وعلينا جميعا أن نجعل هذه الرسالة إلى العالم كله ، إن الله يبغض الظلم ، ويحب الحق ،ويدعو الناس جميعا أن يتصالحوا معه ، وأن يتسامحوا وأن يقبل الواحد الآخر برغم

كل خلاف أو اختلاف إن الجميع مسلمين ومسيحيين ويهود بمختلف طوائفهم تحت دين يدعو لغاية واحدة ، ويسعى لتحقيق مبادئ الحرية في الفكر والاعتقاد ، وحرية التعبير والتحرر من كل أنواع الخوف والقهر وترسيخ قيمة الإنسان الذى كرمة الله ، ورفع قدره فوق سائر المخلوقات ، وميزه بالعقل والعبادة لجلاله الأقدس .

دخل المسيح إلى العالم فى صمت وبطريقة هادئة بسيطة ، بنكران عجيب للذات ، وأول من استقبله جماعة من الرعاة الفقراء والبسطاء ، ثم بعد ذلك المجوس الذين أتوا من أقاصى الأرض على هدى نجم لا يراه أحد غيرهم

ولد المسيح من أسرة فقيرة يتيمة بسيطة . لم تكن تجد من يعولها من البشر فأعانها الله بنفسه فى الهيكل ، ولما كبرت أمه مريم عهد بها الكهنة إلى يوسف النجار العجوز الذى أضناه السن وأنهكته الشيخوخة ليكون حارسها فقط ، وحارسا لسر الميلاد البتولى .

ولد فى قرية هى " الصغرى بين رؤساء يهوذا " وسكن فى الناصرة التى يعجب الناس إن أمكن يخرج منها شئ صالح ، ودعى ناصريا ولد فى مزود للبهائم ، ولم يولد فى قصر ملك ، ولكنه جعل هذا المزود يأتيه الأباطرة والملوك من مشارق الشمس ومغاربها ليتباركوا منه ، فالعظمة والمجد لا تأتى من المكان والعظمة الحقيقية تنبع من الداخل .

عاش ضعف الطفولة كرضيع ، واحتاج إلى رعاية أم وهو راعى الرعاة احتاج إلى امرأة تحمله على يدها ، وتعطيه ليأكل ويشرب ، وهو الذى يعول ويطعم الكل من البشر ، فى تواضع عجيب وإخلاء للذات ، هرب من وجه هيرودس ،ملك اليهود الذى كان يريد أن يقتله .. هرب مثل سائر البشر الذين يهربون من الضيق ، وجاء إلى مصر وعاش فيها سنوات ، ولم يرجع إلا بعد عشر سنوات يهرب من القتل وهو الذى يملك الحياة والموت .. يستطيع أن يقضى على هيرودس ويهرب من أمامه عاش ثلاثين سنة مجهولا .. عاش فيها دون أن يلتفت إليه أحد ، ولا يعرف أحد عنه

شينا بينما تلك السنوات الثلاثين هى فترة الشباب والقوة التى يهتم فيها كل واحد بذاته ، ويرغب فيها كل رجل أن يظهر ذاته ، ويعمل عملا يمجده الناس ، وهو الذى قال يوما " مجدا من الناس لست أقبل " لم يأت ليخدم بل ليخدم ، لم يكن رئيسا ولا سيدا متسلطا على تلاميذه وأتباعه وقال لهم " لا أعود أسميكم عبيدا .. ولكنى سميتكم أحباء " كانت تربطه بتلاميذه والناس رابطه حب لا رابطه رئاسة ، إن البشر هم الذين يستهويهم حب الرئاسة والسلطة ، أما المسيح العظيم فى تواضعه فكان يطلب قلوب الناس لا خضوعهم ويطلب حبهم لا تذللهم ، ولم يقم نفسه رئيسا للناس بل صديقا يتودد للضعفاء والفقراء والذين هم فى مرتبة أقل ليرفعهم فى تواضعه العجيب ، وهو البار وبلا خطيئة ، تحنن على الخطاة وجلس بجوارهم وحادثهم ليردهم لحضن الله أبرارا مطهرين لذلك لقبوه بأنه محب للخطاة والعشارين .

وهو الكاهن ورئيس الكهنة الأعظم انحنى وغسل أرجل تلاميذه .. واضعا فيهم سر نجاح الخدمة ألا وهو تواضع وانحناء الكبير والأقوى أمام الصغير والأضعف، عاش بغير لقب وبغير وظيفة اجتماعية ، ولم تكن له صفه رسمية فى المجتمع ، ولم يكن له مكان معروف أو رسمى يعلم منه ، ولكنه ملأ الدنيا تعليما وآيات فى كل مكان، وهكذا علمنا كيف يمكن أن يعيش الشخص بلا لقب ومع ذلك يعمل أكثر من أصحاب الألقاب .. " تواضع ليرفعنا " .

لم يكن المسيح هو فقط صانعا سلاما ، بل هو سلامنا بكل المعنى مما يحتوية من عمق إذ أنه قد صالحنا ، ليس فقط مع إلهنا بل مع إخوتنا ومع كل من حولنا " لأن كل سلاح المتسلح فى الوغى وكل رداء مدحرج فى الدماء يكون للحريق ، مأكلا للنار لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا ومشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام ، ويتنبأ عنه ميخا النبى قائلا ، ويكون هذا سلاما .

" لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدا . ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنسانا واحدا جديدا صانعا سلاما " والاثنين هنا يشيران إلى أى مختلفين أو منفصلين، إذ لم تعد هناك أمور أو حواجز مادية أو معنوية تقليدية أو تاريخية أو عقائدية ، سواء كانت أبنية هيكلية يهودية أو أممية متمثلة فى عداوة قديمة أو جديدة .وبصفة خاصة الخطية التى فصلتنا عن الله . وجعلت الإنسان يقف موقف المعادى لله .

لقد ولد المسيح صانعا فى جسده سلاما ، فصار هو نفسه سلامنا . المسيح برنا وفداؤنا " الذى صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء " فهو لم يصنع سلاما بيننا وبين الله من جانب ، وبيننا وبين الناس من جانب آخر ، وأنهى مهمته ، بل هو يساعدنا على الاستمرار فى هذا السلام رغم غوائل الأيام ومزالق الطريق ، ومتغيرات الحياة بكل تعقيداتها .

وقد صنع هذا السلام بإزالة الفوارق ، والتمسك بالأمور الصغيرة التى يتذرع بها كل طرف ، لقد كانت الأبنية الهيكلية ، والدوار الداخلية والخارجية ، والطقوس المظهرية كلها تشكل حواجز مادية ومعنوية يتحصن خلفها فريق فينعزل عن الآخر . إنها ناموس الطقوس والفرائض والوصايا .

إن السلام الذى صنعه المسيح مؤسس على القانون والعدل ، فقد تم المسيح بجسده كل مطالب القانون ، إذ دفع أجرة خطايانا ، فكان ميلاده وبحق إيفاء للقانون والعدالة ، وتجسيدا للحب الصادق إذ هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به . بل تكون له الحياة الأبدية .

وهذا السلام لكل إنسان ، للقريب والبعيد ، لمن عرف الله وعبده بتأثير الخوف والرهبة من القصاص والعقاب ، لكنه لم يدرك بعد أن الله محب وصفوح

وغفور وراحم ، وأن المسيح فى محبته يقرع باب القلب مناديا ها أناذا واقف على الباب ، وأقرع إن سمع أحد وفتح الباب أدخل إليه أتعشى معه وهو معى .

فيا من تظن أنك قريب ، ولكنك لم تحظ بعد بنعمة الحب الأبدى تعال إليه . وللبعيد مهما كانت مسافات الابتعاد ، وحواجز الاتصال إن إلهنا لا يعرف المسافات ، فالأميال والمحيطات لا تبعده عنك ، إنه قريب جدا للذين يطلبونه . فتعالوا إليه يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، فهو يريحكم كما وعد وكما ينتظر . ومع بركات الرجاء والأمل الذى يبعثه الإيمان رغم كل ما يبدو مهددا للأمان بسحب العنف والإرهاب على مستوى الدول الكبرى ، ونزولا حتى الفرد المارق الذى أعماه التعصب والجهل والحقد والكراهية - مع كل هذا ستظل الكلمة الأزلية الصادقة هى الأمل والرجاء أنه هو سلامنا . إذ ولد وفى يده مفتاح السلام " ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب " .

إن بشرى الميلاد ، وحقيقة المولود تفتح عيوننا على تجديد إنسانيتنا بمفهوم السلام الحقيقى مع الله ومع كل إنسان بعد أن أعمت الخطية عين الإنسان ، فلم ير إلا نفسه لأنه لم يدرك الله فى محبته ورحمته ، فبميلاد المسيح ولدنا معه برؤى جديدة ، وفكر متجدد ، وعين بسيطة ترى جمال الله فى خلائقه وعلى قمتها الإنسان.

فما أحوج العالم كله إلى سلام الله الذى يفوق كل عقل ، فالعالم يئن تحت وطأه الصدامات سواء كانت بين الدول أو فى داخل الدولة الواحدة . وهل نستطيع أن نغمض عيوننا عن الذين يموتون من الجوع والبرد ؟
وهل يمكننا أن نسد آذاننا عن سماع صرخات اليأس فى أماكن عديدة من عالمنا يطلبون العدالة والرحمة ، والتفكير الجاد فى إعادة توزيع الموارد حتى لا يموت البعض من كثرة ما يأكلون ، ويموت البعض الآخر حرمانا من الطعام والماء والدواء ؟

كفى قتالا ولنشهد السلام لكل إنسان ، دعونا نطلب السلام لمن افتقدوا السلام .
ونطلب البركة لمن يبشر بالسلام ويصنع السلام . فطوبا هم لأنهم أبناء الله يدعون
دعونا نصلى من أجل الذين يخدمون قضية السلام سواء وقفوا حراسا للسلام بين
قوات متحاربة ، ويعرضون حياتهم للمخاطر ، أو لمن يبذلون الجهد والفكر فى حوار
الحضارات والثقافات والأديان من أجل مزيد من فرص السلام بين المختلفين .

إن المسيح بمولده على أرضنا جاء فى وقت لا يختلف كثيرا عن زماننا ،
فالدماء كانت ومازالت تسفك ، والخوف والرعب كان وما زال يعج ويزعج الصغير
والكبير ، والحاكم والمحكوم ، والحاجة كانت وما زالت ماسة إلى السلام واستقرار
ووسط كل هذا يدوى صوته فى آذاننا . سلاما أترك لكم سلامى وأعطيكم ليس كما
يعطى العالم ، أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب . إنه حقا سلامنا ويرونه لا
سلام ومعه كل السلام ، فهل أدركت الطريق إلى السلام ؟

قبل ميلاد المسيح كانت هناك خصومة بين السماء والأرض . مرت فترة
طويلة كانت فيها شبة قطيعة بين السمائيين والأرضيين : لا رؤى ولا أحلام مقدسة ،
ولا أنبياء ، ولا كلام من الله مع الناس ، ولا ظهورات مقدسة ، ولا أية صلة واضحة ..
كانت الأرض بعيدة عن السماء طوال تلك الفترة .. كانت خطايا الناس كليالى
الشتاء باردة ومظلمة وطويلة وكانت تحجب وجه الناس عنهم ..
وكانت الخصومة بينهم وبين الله ، يمثلها فى الهيكل الحاجز المتوسط الذى لا
يستطيع أحد من الشعب أن يجتازه إلى قدس الأقداس .. وزادت خطايا الناس حتى
وصلت عبادة الأصنام . واحتدم غضب الله عليهم . واستمرت القطيعة . ولم يحاول
البشر أن يصطلحوا مع الله ، ولم يعرفوا ..

ثم جاء السيد المسيح ، فأقام صلحا بين السماء والأرض . وأرجع الصله
بينهما وبدأت تباشير الصلح تظهر . وعادت العلاقة كما كانت من قبل وأكثر وأول
شئ فى تباشير هذا الصلح هو كثرة نزول الملائكة إلى الأرض ، فى مجىء المسيح

وقبل مجيئه ظهورات متوالية ، فردية وجماعية ، كسفراء من الله .. كما تهلل الملائكة بفرح عظيم وأرادوا أن يشتركوا فى بهجة هذا الميلاد العجيب .. فظهر ملاك يبشر زكريا الكاهن بولادة يوحنا ، وملاك يبشر القديسة العذراء بالحبل بالمسيح ، وملاك ظهر ليوسف فى حلم يبشره بحبل العذراء وملاك يبشر الرعاة بولادة المخلص بالإضافة إلى جمهور من الملائكة ظهروا مسبحين الله وقائلين " المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وفى الناس المسرة "

إن ظهور الملائكة بهذه الكثرة ، يدل على أن العلاقات بدأت ترجع بين السماء والأرض ، ويدل على مشاركة الملائكة للبشر فى الفرح . وظهور الملائكة فى فترة الميلاد كان مجرد طلائع الملائكة الذين ملأوا العهد الجديد .. ملائكة كانوا يخدمون السيد المسيح على جبل التجربة . وملائكة القيامة الذين ظهروا للنسوة ولمريم المجدلية ، ومثل الملاكين الذين طمأنا الرسل وقت صعود الرب . كان هؤلاء طلائع تعرف بها الملائكة غير المرئيين المحيطين بنا الآن ، الذين قال عنهم القديس بولس الرسول " أليسوا جميعهم أرواحا خادمة مرسلة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " ولم تكتف السماء فى صلحها مع الأرض بظهور سفرائها من الملائكة، بل امتدت الأحلام المقدسة بما فيها من توجيه ومن إعلان .

اجتمع الأمران معا بالنسبة إلى يوسف النجار ملاك ظهر له فى حلم ليخبره بالحبل المقدس ، وملاك ظهر له فى حلم يأمره بالذهاب إلى مصر ، ثم بعد ذلك ظهر له ملاك فى حلم يأمره بأن يرجع من مصر إلى بلاده ، ولما خاف أن يذهب إلى اليهود بسب أن أرخيلاوس كان يملك هناك " أوحى إليه فى حلم " أن ينصرف إلى نواحى الجليل " فذهب وسكن فى الناصرة " .

كذلك بالنسبة إلى المجوس ، بعد أن قدموا هداياهم إلى الطفل يسوع " أوحى إليهم فى حلم ألا يرجع هيرودس فانصرفوا إلى كورتهم " وحديث المجوس يذكرنا بظهورات مقدسة أخرى .

وفى صلح السماء والأرض لم يقتصر الأمر على ظهور الملائكة . والأحلام المقدسة ، بل رجعت روح النبوة مرة أخرى ، من عمل الروح القدس فى الناس

نقرأ عن يوحنا المعمدان فى بشارة الملاك الخاصة به أنه " من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " وفى بشارة الملاك للقديسة العذراء ، قوله لها " الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك " وفى زيارة العذراء لأليصابات قيل " فلما سمعت اليصابات سلام مريم ، ارتكض الجنين فى بطنها ، وامتلأت اليصابات من الروح القدس " وقيل عن زوجها زكريا - لما فكت عقدة لسانه " امتلأ زكريا من الروح القدس وتنبأ " . كذلك نقرأ عن سمعان الشيخ أنه كان رجلا بارا " والروح القدس كان عليه ، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب . وكان من تباشير الصلح أيضا رجوع المعجزات . والنبوة ، والكشف الإلهى .

كان انفتاح رحم اليصابات العجوز العاقر هو معجزة . وكان الحكم بصمت زكريا الكاهن تسعة أشهر ، ثم انفتاح فمه ، معجزتين أخريين ، وكذلك أهم المعجزات حبل القديسة مريم بالمسيح وهى عذراء، وارتكاض الجنين بابتهاج فى بطن اليصابات عند سماعها سلام مريم ، كانت معجزة أخرى . وهناك الكشف الإلهى لاليصلبات فى قولها لمريم العذراء " من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى " وقولها لنا أيضا " طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب " كما أن المعجزات التى حدثت فى مصر كثيرة عند زيارة العائلة المقدسة لها، مما قدرواه التاريخ . وبعد ذلك ما أعجب المعجزات وأكثرها ، التى تمت على يدى المسيح . كل هذا يدل على أن يد الرب كانت قد بدأت تعمل فى وقت ميلاد السيد المسيح الذى كان مقدمة لصلح بين السماء والأرض .

على أن الصلح الحقيقى تم على الصليب بالفداء حين محا الصك المكتوب علينا . وغفر لنا خطايانا التى كانت حاجزا بيننا وبين الله ، وفتح لنا الطريق إلى الأقداس.. وهكذا تبررنا وصار لنا سلام مع الله . بالفداء قد صولحنا مع الله . ولكن

ينبغي أن نحيا في حياة التوبة والنقاء ، لنستمر في هذا الصلح ، عارفين أن محبة العالم هو عداوة الله . لأن كل ما في العالم هو شهوة الجسد ، وشهوة العيون وتعظم المعيشة .

لذلك فإن السيد المسيح أعطى وكلاءه على الأرض خدمة المصالحة . وهكذا قال القديس بولس الرسول " إذن نسعى كسفراء عن المسيح ، كان الله يعظ بنا ، نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله " لأن الإنسان الذى يحيا في الخطية ، هو في عداوة مع الله يحيا بعيدا عن الله ، يكسر وصاياه ، ويعصى أوامره الإلهية ، ويشعر بأن هناك حاجزا بينه وبين الله . ولا يستطيع أن يصطلح معه إلا بالتوبة ، ولا يستطيع أن يقترب من السرائر الإلهية إلا بالصلح مع الله .وهكذا أيضا فإن العالم الذى تطحنه المشكلات والحروب ، هو محتاج كذلك أن يصطلح مع الله لكى يخلصه من كل هذا ..

من أجل هذا نصلى أن يرضى عن العالم ، ويرفع عنه كل ضيقة ، ويجعل عهد الشعوب والأمم والدول عدل سلام ورخاء ومحبة ..

## الإنـــجـيـــل :

هناك أناجيل متعددة تتكلم عن حياه المسيح ودعوته ، منها إنجيل عيسى عليه السلام نفسه ، وقد ورد ذكره في إنجيل مرقص " الإصحاح الأول الفقرة ١٤ "وفي رسالة بولس إلى أهل رومية . ومن الأناجيل إنجيل السبعين ، وإنجيل التذكرة وغيرهما من الأناجيل الكثيرة ، وهناك أناجيل ورسائل فنيت في عهد الاضطهاد الأولى التى عانتها المسيحية ، ولكن بقى جزء كبير من الأناجيل والرسائل أخفاها ذووها ثم أظهروها عندما غلبت المسيحية أعداءها فقدموها إلى الكنيسة التى قررت مصير هذه الأناجيل .

ومن المعروف أن الأناجيل الأربعة المعروفة الآن " العهد الجديد " وهى انجيل متى وإنجيل لوقا ، وإنجيل مرقص ،وإنجيل يوحنا . لم تكن فى عداد الكتب المقدسة للمسيحية قبل عام ٣٢٥ م أى فى القرن الرابع الميلادى ،إذ تم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى ، وصودق عليها .

يذكر التاريخ أمرا أصدره البابا جلاسيوس الأول الذى جلس على الأريكة البابوية عام ٤٩٢ م يعدد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها ، وفى عدادها كتاب سمى انجيل برنابا . وهكذا اختلفت الأناجيل وضاعت نسختها ،ولم يبق منها إلا هذه النسخة التى وصلت إلى بر السلامة . حيثما أخذت مكانها فى مكتبة البابا نفسه ، وقد احترقت وفنيت نسخ هذا الإنجيل كلها وسلمت هذه النسخة من ظلام العصور الوسطى . وبهذا استطاعت هذه النسخة الفريدة من إنجيل برنابا أن تحيى ما أوشك أن يندثر من معالم هذا الإنجيل

وصلت هذه النسخة من الإنجيل إلى مكتبة البابا سكتس الخامس بروما ، واختفت المكتبة نحو القرن السادس عشر ، ويرجح أن الذى اختلسها راهب اسمه فرامرنيو ، وعن طريق هذا الراهب آلت هذه النسخة إلى مكتبة أحد وجهاء

أمستردام . اد بعيب حتى مطلع القرن الثامن عشر ، وفي عام ١٧٠٩ م كان كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا يبرل في أمستردام ، وكانت له بهذا الوجيه صلة ، ولما رأى هذه النسخة من إنجيل برنابا استعارها ، ثم ذكر للوجيه أنها عظيمة القيمة . وفي عام ١٧١٣ م أهدى وجيه أمستردام هذه النسخة إلى البرنس - أيوجيني سافوري - الذي كان مولعا بالعلوم والآثار التاريخية ، ثم انتقلت هذه النسخة مع مكتبة البرنس كلها إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا ،حيث لا تزال هذه النسخة موجودة حتى الآن .

ويؤكد صحة هذا الكلام ما رواه د . محمود محمد عبد القادر ، في كتابه " بيولوجية الإيمان " من أن هذه النسخة إيطالية محفوظة في فيينا - ترجمها إلى الإنجليزية المتشرق سايل ، والدكتور منكهوس أحد أعضاء الكلية الملكية في أكسفورد ، وقد علق سايل في مقدمة كتابه أن مكتشف النسخة الإيطالية راهب لاتيني يسمى فرامرينو ، وقد درس بعمق هذا الإنجيل مما جعله يعتنق الدين الإسلامي بعد ذلك .

وهناك نسخة أخرى لهذا الإنجيل باللغة الأسبانية ظهرت نحو عام ١٧٨٤ م . ولكنها فقدت بعد ذلك . وهي نسخة مترجمة عن الإيطالية ، ويقال إنها ترجمت عن نسخة الراهب فرامرينو الوحيدة المعروفة حاليا . ولقد ترجم هذا الإنجيل إلى اللغة العربية من الإنجليزية في مطلع القرن العشرين ، وقام بترجمته د . خليل سعادة . وقدم له ، ونشره الأستاذ محمد رشيد رضا صاحب المنار .

وبرنابا من الحواريين الاثنى عشر ، وقد ورد في هذا الإنجيل ما نصه " فلما رأى يسوع أن الجمهور الذي عاد إلى نفسه ليسلك في شريعة الله جمهور غفير ، صعد الجبل . ومكث كل الليل بالصلاة ، فلما طلع النهار نزل من الجبل ، وانتخب اثنى عشر سماهم رسلا . منهم يهودا الذي صلب .أما أسماؤهم فهي أندراوس ، وأخوه بطرس العياد . وبرنابا الذي كتب هذا مع متى العشار الذي يجلس للجباية ، ويوحنا ،

ويعقوب ابنازبدى ، وتداوس ، ويهودا ، وبرتولوعارس ، وفيليبس ، ويعقوب ويهودا الأسخر بوطى الخائن .

وقد وضح برنابا الأسباب التى دفعته إلى تأليف هذا الإنجيل فى مقدمته التى كتبها لهذا الإنجيل بقوله " أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمةعظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين أن المسيح ابن الله ، رافضين الختان الذى أمر به الله دائما ، مجوزين كل لحم نجس . والذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا ولا تعترف الكنيسة بهذا الإنجيل ، ولا تقيم له وزنا لما ورد فيه ، ويخالف الأناجيل الأربعة الأخرى المشهورة فى عدة أمور جوهرية هى :

- أن يسوع – عيسى عليه السلام – أنكر ألوهيته ، وكونه ابن الله ،وذلك على مرأى ومسمع من جمهور عظيم .. يبين برنابا أن ادعاء ألوهية المسيح بدأ فى حياة المسيح بسبب معجزاته واتجاهها فى إحياء الموتى وإبراء الكمه ، وغير ذلك مما ليس للبشرية به عهد . فقد أورد برنابا قول عيسى منكرا ألوهيته " إنى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أننى برئ من كل ما قال الناس عنى من أننى أعظم بشر ، لأنى مولود من امرأة ، وعرضه لحكم الله ، أعيش كسائر البشر . عرضه للشقاء العام " .
- أن الابن الذى عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله ، إنما هو إسماعيل لا اسحق
- أن محمدا هو البشرى المنتظرة ، فقد جاء إنجيل برنابا صريحا غاية الصراحة فى ذكر النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتكرار هذا الاسم فى عدة مواضع ،

منها ماجاء في الفصل التاسع والثلاثين " فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها لا إله إلا الله محمد رسول الله - ففتح حينئذ آدم فاه وقال أشكرك أيها الرب إلهي ،لأنك تفضلت وخلقتني ، ولكني أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات - محمد رسول الله - فأجاب الله مرحبا بك ياآدم وأنا أقول لك ، إنك أول إنسان خلقته ، وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة الذي متى جاء سيعطي نورا للعالم " .

- إن عيسى لم يصلب ،بل حمل إلى السماء ، وأن الذي صلب إنما كان يهودا الخائن الذي شبه به فقد جاء في الفصل الثاني بعد المائة " ولكن متى جاء بعد محمد رسول الله المقدس تزال عنى هذه الوصمة وسيفعل الله هذا بي لأنني اعترفت بحقيقة - مسيا - الذي سيعطيني هذا الجزاء . أي أن أعرف أني حي وأنا برئ من وصمة تلك الميتة " . وهذا النص يشهد بأن القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد صلى اله عليه وسلم ، هو الذي برأ المسيح - عليه السلام - من تهمة القتل والصلب ، قال تعالى : " وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا " ( النساء ١٥٧ ) .

ولا شك في أن هذا الإنجيل - إنجيل برنابا - يتفق في أكثر مسائله مع القرآن الكريم ويزيل الهوة التي ابتدعها بولس ، والتي أبعدت المسيحية عن الأديان السماوية " يذكر برنابا في مقدمة إنجيله أن --بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح ، ولكن تعاليمه هي التي غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية .

ولأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم ورد صريحا في إنجيل برنابا بلفظ محمد أو بلفظ رسول الله الذي تشير إليه كلمة مسيا فقد شككوا في نسبته ، وزعموا عدم

صحته . وخلاصه ما جاء في هذا الإنجيل هي أن الله لم يتخل قط عن رسله والمؤمنين في حالات المحن . لقد نجي نوحا ومن آمن معه ، ونجي إبراهيم من النار ، وكذلك موسى ويوسف ، ولم يتخل الله عن عيسى ، بل رفعه وأوقع الخائن يهودا في شر أعماله ، ونجي المؤمنين . ومما لاشك فيه أن مكتبة الفاتيكان إنما تحتوى على كثير من بقايا الأناجيل التى كتبت ، والتي منع تداولها في القرون الأولى الميلادية ، وقد روى بعض الكتاب الإنجليزي القدامى قبل ظهور الإسلام أنه اطلع في مكتبة الفاتيكان على نسخة من الإنجيل فيها " يقول المسيح مبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد وذلك يوافق النص القرآني بالحرف " ولا شك أن تعدد الأناجيل كان مثار جدل ، فلا يعرف بالتحديد متى كتبت ، ومن هو مؤلفها الحقيقى ؟ أو بأى لغة ألفت

ومن المعروف أن القسيس المسيحى في كل أنحاء العالم هو ذلك القسيس الذى يلتزم بمبادئ المسيحية كديانة سماوية تدعو للتسامح والمحبة حتى مع أعدائها ، فالقسيس المسيحى هو قدوة للآخرين لأن القسيس يدخل الكنيسة ويشرح مبادئ المسيحية في المحبة والتسامح ، ويشرح لهم ما ورد في إنجيل متى والآية ٤٤ ، والتي تقول : " وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لا عنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم "

ومهما يكن من أمر هذه الأناجيل ، وتعددها ، وما جاء فيها ، فإنها تحمل معنى السماحة ، وتبشر بخير البشرية ، وسواء جاء في بعضها أو في واحد منها ذكر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، الرسول الخاتم . أو تحدث عن المسيح البشر الذى لم يقتل أو يصلب ، سواء هذا أو ضده فإن القضية تكمن في الاتجاه إلى إله واحد يعبده كل البشر . ونحن مع كل الأديان والشرائع والعقائد ما دامت تهدف إلى غاية واحدة ، والغاية ليس بعدها شيء آخر . وما جئنا به من اشارة إلى أنواع الأناجيل إنما لنبين أن في ذلك بيانا للناس بالرجوع إلى الله ، وليس المسيحيون وحدهم

تعددت أناجيلهم ، بل نراها كالمذاهب التى يعتنقها المسلمون ، وإن اختلفت وتباينت ، فهى فى نهاية الأمر مورد للتزود بكل ما يقيم مجتمعا كريما .

ولا أقصد من وراء هذا العرض إهانة ، فالمسيح نبى كريم ، ورجل عظيم ، وإنما قصدت أنه لم يكن إلها فلا إله إلا الله ، ومحمد رسوله وخاتم أنبيائه ، وقد بعث بدين الإسلام ليوضح الذى نزل بالمسيحية .لذلك رفض الإسلام قصة موت المسيح باعتبارها غير جديرة بالدين المسيحى الصحيح . وإذا كان المسيح قد صلب ، فليس المسلمون هم الذين صلبوا منقذهم ، حسب رواية الإنجيل ، ويسوع نبى من الأنبياء فى الإسلام .

والسماحة واضحة فى الأديان وبينها منذ القديم ، فهذا صلاح الدين البطل إلى جانب تسامحه مع كثير من المسيحيين وبخاصة سباياهم من النساء ، قام بإعادة شتات اليهود إلى أرض القدس ، مما استحق أن يمتدحه الشاعر اليهودى يهودا الحريرى ، شاكرا فضله على هذه النعمة العظيمة ، فقد عطف على اليهود عطفا عظيما ، وقد كتب عنه :

" صار السلطان صلاح الدين بحركته بطلا لدى اليهود . فمن أجلهم حنن الله قلب السلطان . وقد كافأه الله على حنانه ، فهو قد حاصر القدس ، والله سبحانه فتحها على يديه .. أى أن الفضل أخيرا لنصرة اليهود .

إن اختلاف العقيدة فى صحيح كل دين لا يفسد للود القضية .. فى الكتاب المقدس "أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم .. أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم " فما بال الأمر بمحبيكم ومواطنيكم ؟ وفى القرآن الكريم ، يقول الحق تبارك وتعالى :

ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون " ( المائدة ٨٢ )

كلنا أقباط ، فالكلمة إغريقية الأصل " إجيبتوس " تعنى المصريين جميعا .. المسلمون منا والمسيحيون يعبدون الله الخالق الواحد . وقد بعثت قيامة المسيح الإيمان بكل ما قاله ، بعثت الحياة والشجاعة والجرأة ، فانطلقت الكنيسة يحدوها الأمل ويساورها الرجاء انطلقت فى موكب الحق والخير والجمال . إن القيامة ليست فصلا يكمل الإنجيل ، بل هى ذات الإنجيل قيما وعقيدة ومنهجا ومحتوى . إنها حجر الأساس فى صرح الإيمان الوطيد ، فبدونها لا شئ يقدم للعالم الظامئ الذى يقول اعبر إلينا وأعنا .. جاءت آية القيامة تمحو الظلمات ، وتنتزع المخاوف لكى تغرس الأمن القائم على السلام ، فقد كانت أولى كلمات السيد المسيح له المجد بعد قيامته سلام لكم .

إن الظروف التاريخية - عبر ألفى عام - قد أوجدت صلات بل تداخلات بين المسيحية واليهودية تختلف فى الشكل والمضمون عن تلك التى أوجدها التاريخ بين المسيحية والإسلام ، فالتراث اليهودى ممثلا فى التوراة ومنذ القرون الأولى للمسيحية ، قد ربط بين التوراة والذى سمى " بالعهد القديم " للكتاب المقدس لدى المسيحيين وبين " العهد الجديد " وهى الأناجيل الأربعة والرسائل وسفر الرؤيا والتى كونت فى مجمعها النصوص المعبرة عن المسيحية .

وقد رأينا فى الكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية أنها بدأت بدعوة ١٠ فرق من خارج أمريكا يتكون كل فريق منهما من عضو مسيحى بروتستانتى، وآخر مسلم ، وذلك للقيام بزيارة الكنائس فى الولايات المتحدة ، والفرق المدعوة هى .. مصر وأثيوبيا والهند وأند ونسيا وإيطاليا وكينيا والأردن ولبنان والنيجر والفلبين . وقد أطلق على هذا المشروع " الإصغاء للقيم المشتركة " وسيضم هذا المشروع اثنى عشر فريقا يتكون كل منها من قائد مسيحى من الكنيسة المشيخية خارج الولايات المتحدة ، والآخر مسلم من الذين يقام بينهم حوار إسلامى مسيحى فى بلدانهم الأصلية ، وذلك لعقد لقاءات مع الكنائس المحلية .

والمجامع والمؤسسات فى كل أمريكا . ويعكس هذا البرنامج التزام الكنيسة المشيخية مع أصحاب الديانات الأخرى كما هو موضح فى إعلان سياسة الكنيسة الذى اعتمد فى المحفل العام ١٩٨٣ تحت وثيقة " الإرسالية والشهادة " إعلان مسكونى " وكلمة مسكونى تعنى ( المشترك بين طوائف مختلفة ) .

وبقراءة وثائق مجلس الكنائس العلمى ، يقول فى هذا " إن المسيحيين أصبحوا واعين ببعض القناعة العميقة لدى جيرانهم ، وقادرين أن يبتكروا تعبيرا عن ذواتهم له مصداقية لدى الآخرين يعطون عنه حسابا لالتزامهم بالمسيح الذى ينتسبون إليه . ويقول كتاب تقارير الكنيسة المشيخية " إن الكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية تتطلع إلى خلق نص جديد للحوار والتفاهم مع أتباع الديانات غير المسيحية ، ولتحقيق هذا الشغف والاهتمام تشارك وتتحرك نحو مع الآخر حيث المعانى المتطابقة والأهداف المشتركة " .

إن كل الأنبياءساميون : موسى وعيسى ومحمد ، وكذلك المصلحون : بوذا وكونفوشيوس ، وزرادشت .. كلهم من آسيا ، فالعداء لهم عداء للسامية ..بل إن عداء الكاثوليك للبروتستانت عداء للسامية ، وعداء الشيعة للسنيين عداء للسامية ، وعداء الأرثوذكس اليهود للإصلاحيين عداء للسامية .. ولكن لم تفلح كل هذه الأديان فى أن تضع فى القانون الدولى أن العداء لها مثل العداء لليهود ، ومن يتعصب ضد الإسلام ، كمن يستعدى على المسيحية ، هو عدو السامية إن العداء للسامية معناه العداء للشعب السامى أى أولاد سام بن نوح عليه السلام ، وأولاد سام هم كل أبناء آسيا .

وقد قيل إن العرب أخلص أنواع الجنس السامى الذى يتميز بميله الفطرى إلى إدراك المفردات وحدها ، ولا قبل لهم باستخلاص قضايا وقوانين ، ولا بالوصول إلى فروض ونظريات معرفية ، ومن العبث أن يتلمس المرء لديهم إبداعا فكريا أو انجازا حضاريا أو منهجا عقلانيا ، وأما المعرفة الإسلامية ، فليست إلا خلاصة الثقافتين

الهلينستية والسامية اللتين صيغ منهما أيضا أساس الفكر المسيحى فى عصوره المبكرة ولو لا ما سمع بالخصومة الدينية من جانب المسلمين ، لما أفضى الحال إلى إسدال ضباب الغموض على المصدر المشترك لثقافة المسلمين والمسيحيين متمثلا فى التراث الذى وهبته للبشرية فتوح الإسكندر المقدونى .

ويطلق مصطلح السامية لغويا على مجموعة لغات تكون فرعا لغويا ضمن خمسة أفرع ، تكون فى مجموعتها أسرة لغوية كبيرة هى أسرة اللغات الأفروأسيوية .. والمنطقة الجغرافية لهذه الأسرة تشمال أفريقيا وشرقها ، وفى جنوب غرب آسيا ، وتحتوى هذه الأسرة على أكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة .

وأغلب الشعوب التى تتكلم اللغات السامية ضمن ذرية سام بن نوح " وهو فى العبرية شام كما جاء فى الفصل العاشر من سفر التكوين . وتنقسم اللغات السامية إلى ثلاثة أقسام ، القسم الشرقى ، والقسم الغربى ، وتنتمى إليه اللغة العبرية ، والقسم الجنوبى وتنتمى إليه اللغة العربية .

وكان الساميون على اختلاف عشائرهم يحجون إلى أماكن معينة فى أوقات معلومة . وكان أهم هذه البقاع عندهم ، الجبال والأشجار والآبار وعيون الماء . فنقرأ مثلا فى التوراة " وهذه الرسوم والأحكام التى أعطاك الرب إله آبائك ، لتملكها كل الأيام التى تحيونها على الأرض ، تقوضون جميع المواضع التى كانت الأمم التى ترثونها تعبد فيها آلهتها على الجبال الشامخة ، والتلال . وتحت كل شجرة وارفة ، وتهدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم ، وتحرقون غاباتهم بالنار ، وتحطمون زخارفهم لآلهتهم ، وتمحون أسماءهم من ذلك الموضع . حتى لا تصفوا هكذا نحو الرب إلهكم . بل الموضع الذى يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ،ليحل فيه اسمه ويسكن فيه فتؤمونه ،وإلى هناك تسيرون حاملين إليه محرقاتكم وذبائحكم وأعشاركم وتقدمات أيديكم ونذوركم ونوافلكم وبكور بقركم وغنمكم . وتأكلون

هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون بجميع ما تمتد إليه أيديكم أنتم وبيوتكم ، مما بار ككم فيه الرب إلهكم " ( التثنية ١٢ : ٧ ) .

أما " اللاسامية " فهى مفهوم أوربى ، وليس عربيا ،لأن العرب أعرق فى الانتساب إلىسام بن نوح من اليهود . والذى قاد هذه " اللاسامية " قائد فرعونى ، وهى إذن موغلة فى القدم وإننا نشعر أن هذا الفرعون الجديد قد حكم بعد تحرير مصر من حكم الهكسوس الساميين . الذين احتلوا مصر وحكموها قبل ميلاد سيدنا المسيح ، فقد كانت لهذه اللاسامية المبكرة مسوغاتها الاقتصادية السياسية والعسكرية

وكما يطلق مصطلح " السامية " على مجموعة اللغات التى تنتمى إلى الفرع السادس من فروع أسرة اللغات الأفروأسيوية فإن كذلك يطلق على مجموعة الشعوب التى تتحدث هذه اللغات ، والشعب السامى الذى سكن فلسطين هم الكنعانيون ، ويعود نسبهم إلى جدهم الأول كنعان ، ومن هذه الحقيقة التاريخية يكون الساميون العرب أساس تلك الشعوب والأمم التى شكلت تاريخ تلك المنطقة من أرض الرافدين وسوريا ولبنان وفلسطين . والكنعانيون من أهم الشعوب التى نشأت وعاشت فى المنطقة السورية قديما . وهم يكونون سكان فلسطين ، ومنطقة الساحل الفينيقى والأجزاء الشمالية فى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد ..ولقوة الكنعانيين لم يستطيع العبرانيون الاستقرار فى القدس و وما حولها من مدن وسهول غنية ، ولم يكن لهم وجود إلا على التلال ، وأطراف البلاد والأماكن الفقيرة ، حتى جاء منتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وهاجر يعقوب - إسرائيل - وبنوه إلى مصر فرارا من القحط فى المناطق التى كانوا يقيمون بها . حتى جاء يشوع بن نون وقادهم إلى نهر الأردن واستولوا على بعض أرض الكنعانيين ، وفى فجر الألف الأول قبل الميلاد ، وحد سيدنا داود عليه السلام قبائل إسرائيل لإثنتى عشرة ، وأسس مملكة إسرائيل .

وبلغت المملكة اليهودية قمتها حين فتح دواد - عليه السلام - القدس وجعل جبل صهيون مقرا للحكم ، وتولى من يعده ابنه نبى الله سليمان - عليه السلام سنة

٩٧٠ قبل الميلاد ، وطال حكمه أربعين سنة ، وبعد سيدنا سليمان عليه السلام انحرف بنوا إسرائيل وقتلوا أنبياءهم .

## حـــركـــة التنـــويـــر :

إن ظهور حركة التنوير السورية يرتبط بنشاط الشيخ ناصيف اليازجي ( ١٨٠٠ - ١٨٧١ ) الأديب والكاتب ، والمنتمي مذهبيا إلى الروم الكاثوليك وبالماروني ( الذي تحول فيما بعد إلى البروتستانتية ) بطرس البستاني ( ١٨١٩ - ١٨٨٣ ) . والشيخ ناصيف اليازجي اشتهر بوصفه شاعرا ومعلما لغويا . فهو صاحب أفضل المؤلفات في ميدان النحو العربي في القرن التاسع عشر ( " طوق الحمامة " و " مجمع البحرين " ) أما بالنسبة لنشاط بطرس البستاني فكان متنوعا للغاية . إنه كان من رواد الصحافة العربية ،حيث أسس وحرر صحيفة " الجنة " ومجلة علمية أدبية بعنوان " الجنان " وناشر أول موسوعة عربية " دائرة المعارف " ( من ستة أجزاء ) وأول قاموس عربي مبسط " محيط المحيط " وكان عضوا فعالا في الجمعيات والمنتديات العلمية والأدبية ( أحد مؤسسي الجمعية السورية لدراسة العلوم والفنون ) وقد ترجم إلى العربية كثيرا من المؤلفات الإوربية وهو المؤسس الأول " للمدرسة الوطنية " في بيروت ( سنة ١٨٦٣ ) التي كان يتعلم بها المسيحيون والمسلمون جنبا إلى جنب ، أما الماروني سليم البستاني فقد ترجم إلى اللغة العربية " الإلياذة " وألف الأرثوذكس جرجس زيدان ( ١٨٦١ - ١٩١٤ ) ، وهو الأديب والمؤرخ المعروف عملين مهمين للغاية ، هما - " تاريخ التمدن الإسلامي " و " تاريخ آداب اللغة العربية " ( وإنه لأمر ذو دلاله كبرى أن يقوم كاتب مسيحي بوضع هذين المصنفين ، اللذين يختصان بمناقشات " موضوعات إسلامية " بحتة ثم يحصل هذان المؤلفان في نهاية المطاف على الاعتراف من جهة المسلمين ) . وفي الوقت نفسه كتب فرج أنطون ( ١٨٦١ - ١٩٢٢ ) مجموعة من الروايات التاريخية الفلسفية ، حاول أن يؤسس ويؤصل من

خلالها ماضى العرب بصورة جيدة ، أما الأديب المارونى مارون نقاش ( ١٨١٧ - ١٨٥٥ ) فهو بحق رائد المسرح العربى . فقد أسس فى بيروت مسرحا على النمط الأوربى ، ونظيراً المسرحه هذا أنشأه فى الإسكندرية أديب إسحق وسليم نقاش . كما أسس خليل الخورى ( أرثوذكس ) أول صحيفة مستقلة فى سوريا بعنوان " حديقة الأخبار " ( ١٨٥٨) وحرر أديب إسحق صحيفة " مصر " وبالتعاون مع سليم نقاش أصدرا معا جريدة ( التقدم ) أما الأخوان الكاثوليكيان سليم وبشارة تقلا فقد أسسا فى الإسكندرية فى عام ١٨٧٦ صحيفة الأهرام التى انتقلت إلى القاهرة ومازالت تصدر إلى اليوم ، وأصدر جرجس زيدان فى القاهرة مجلة " الهلال " ( ١٨٩٢ ) وأصدر فارس شدياق " الجوائب " بينما أصدر المارونيان يعقوب صروف وفارس نمر مجلة " المقتطف " ( ١٨٧٦ ) وبفضل جهود فرج أنطون فى مجال الترجمة ، عرف العرب مؤلفات ديدرو ، فولتير ، روسو ، رينان . وقام شبلى شميل بترجمة وشرح داروين ، وكان شميل كذلك واحدا من أوائل المثقفين ، الذين أطلعوا العرب على الأفكار الاشتراكية .

إن النشاط الأدبى والعلمى لجمهرة المنورين المسيحيين ، ومؤلفاتهم وكتاباتهم الواسعة فى موضوع الحضارة الإسلامية استطاعت أن تغير - ولو جزئيا - موقف المسلمين التقليدى إزاء المسيحيين العرب . وفى هذا المجال يصف المستعرب الروسى الشهير أغناطيوس كراتشكوفسكى ما قام به نصيف اليازجى من جهد مبدع بقوله إنه " بفضل إتقانه الرائع للغة ، وبفضل أشعاره ، ومقاماته .. ومؤلفاته التعليمية .. أظهر أن التصور القديم ، القائل " إن العربية لا تنصر " أصبح مفهوما عتيقا وباليا " .

إن أفكار المنورين المسيحيين ، بدءا من بطرس البستانى ، وانتهاء بفرج أنطون يمكن أن تصنف فى أطروحتين أساسيتين : الأطروحة الأولى ، تقول إن الدين يخص الموقف الشخصى فقط للإنسان ، وهو عبارة عن علاقة شخصية بين

الإنسان وربه . والأطروحة الثانية مؤداها أن الوطن يخص جميع المواطنين بصرف النظر عن معتقداتهم وانتماءاتهم الدينية والطائفية والمذهبية : " الدين لله والوطن للجميع " وقد شدد بطرس البستاني فى كتاباته على الرابطه العرقية - القومية للعرب . حيث يخاطب العرب جميعا بقوله يا أبناء الوطن أنتم تشربون الماء نفسه ، وتستنشقون الهواء نفسه . أنتم تتكلمون لغة واحدة ، وتعيشون على أرض واحدة لديكم عادات مشتركة وتطلعات مشتركة . من الآراء غير الصحيحة التى نصادفها بين حين وآخر ، الرأى الذى مؤداه أن الإسلام دين التعصب وعدم التسامح ، وهما سمتان ملازمتان أبداله. ونعترض على مثل هذه الدعوى ، فالتعصب يمكن أن يبرز فى مرحله تاريخية معينة ، وفى أى دين ، بل ليس فى الأديان فقط ، وإنما فى النظريات والعقائد والحركات السياسية والاجتماعية المختلفة وقد طرح مكسيموس الخامس ، حكيم بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الكاثوليك فى رسالته الموسومة بـ " المسيحيين والقومية العربية " أثناء زيارته للجزائر سنة ١٩٨٧ .

الأفكار الآتية : العالم العربى - الإسلامى والطوائف العربية - المسيحية وجدت من أجل أن تكمل بعضها بعضا .. نحن العرب - المسلمين والعرب - المسيحيين - كلنا ننتمى إلى جنس واحد . نعبد إلها واحد . ونحن كلنا نجلل ونحترم الأنبياء جميعا . أما خلاصنا فإنه يتجسد فى الاعتراف بتلك الخلافات فى القيم ، التى تمثل كل جانب ، وبإمكان كل جانب إكمال الجوانب الأخرى . إن انفتاح المسيحية على الثقافة الغربية لا يحولها إلى أخ خائن للمسلمين . بل إن هذا الانفتاح يمكن أن يجعل من المسيحية حلقة وسيطة بين الحضارتين . بين الثقافتين ، بين الديانتين ، اللتين تؤمنان برب واحد .

ونحن نجد القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى :

" آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله " ( البقرة ٢٨٥ ) .

نؤمن بإله واحد نعبده ، ونؤمن بالملائكة ، وبالكتب التى أنزلها الله فكلها تدعو إلى خير البشرية ، وكذلك نؤمن بجميع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله ليكونوا مبشرين ومنذرين ، ولا فرق بينهم فالكل يدعو إلى هدف واحد هو عبادة الله، وعمارة الأرض والكون ، والسعى من أجل الإصلاح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتعاون والتآزر والتآخى ، والصدق والعدل والبر والتسامح .

وفى إطار إعلان الإسكندرية يناير ٢٠٠٢ الذى نص على إجراء لقاءات بصورة دورية بين ممثلى الأديان ، صدر بيان جاء فيه : نحن كمسلمين ويهود ومسيحيين نؤكد بيان الإسكندرية الأول ، ونؤكد احترامه لقيم الأديان الثلاثة الرئيسية فى المنطقة .

إن ظهور الدين الإسلامى ، وترسخه السريع والقوى فى أراض آسيوية وأفريقية واسعة أثناء مسيرة الفتوحات العسكرية الدينية للعرب ، حدد بصورة حاسمة مصائر المسيحية الشرقية ، التى قابلت الدين الجديد ( الإسلام ) دون أي مقاومة ،بل وبالترحاب فى كثير من المناطق ، ومرد ذلك الموقف إلى عدة عوامل أهمها :

أولا : تسامح الإسلام إزاء القضايا المتعلقة بإقامة طقوس العبادة المسيحية .

ثانيا : بسبب أن المسلمين الفاتحين حموا المسيحيين من تعديات واعتداءات وملاحقات إمبراطورية بيزنطة غير المتسامحة مطلقا فيما يخص التيارات المونوفيزية والنسطورية . وهناك عامل مهم ثالث ، يتجسد فى حقيقة أن العرب المسلمين اعتمدوا فى السنوات الأولى من الفتوحات على أبناء جلدتهم من المسيحيين ، وهم قبائل قوية واسعة التوزع والانتشار فاستخدموا ( فى الأوساط المسيحية ) اللغات المحلية بدلا من الإغريقية . ( ولهذا التشجيع العربى- الإسلامى ) ازدهرت موجه

جديدة من الأدب بين القبط فى القرنين السابع والثامن للميلاد ، وكانت ذات طبيعة قانونية - تشريعية بالدرجة الأولى .

إن مفهوم الإسلام مشتق من الفعل " أسلم " ويتضمن فى جوهره فكرة تسليم الذات لله الواحد الأحد " ( ومن هنا تأتى صفة مسلم ) النقيض لمفهوم" الشرك " أو الاعتقاد بتعددية الآلهة ، وإن أضفت بعض المؤلفات الفقهية بعد ذلك على "الإسلام " معنى جديدا .

وقد صدر للأستاذ أمين معلوف ، الكاتب اللبنانى المهاجر إلى فرنسا ورئيس تحرير جريدة النهار اللبنانية سابقا كتاب " باسم الشخصية " فى طبعتة الثانية فى سنة ٢٠٠٠ مترجما من الفرنسية إلى الإنجليزية ، أثار فيه قضية تتعلق بالسماحة الدينية ، وأن الديانات تحض فى الأصل على التسامح ، واعتبر التسامح قضية مسلمة لكل من الديانتين وأنهما قد تعرضا لفترات من التسامح وعدم التسامح وأن العالم الإسلامى كان مركز التسامح فى العالم لمئات من السنين ، وازدهرت الأمة الإسلامية خلالها إلى أعلى حد وانتقلت حضارتها إلى أوربا مما كان له أثره فى دخولها عصر النهضة .

**المشاعر الإنسانية :**

أبناء مصر من مسلمين ومسيحيين أخوة متحابون متسامحون ، يعيشون على أرض واحدة ، ويستنشقون هواء واحدا ، ولهم مصالح مشتركة ، والجميع يسعى إلى مكارم الأخلاق ، فالأمم العاقلة من يكثر بها أولئك الذين يجمعون ولا يفرقون ، ونحن أخوة متحابون ، والمحبة تنفع الجميع ، وتعلى من شأنهم والأخوة الصادقة حقيقة راسخة لدى المسيحيين والمسلمين فهم يسعون معا من أجل نشر السلام والأمن والمحبة فقد تربوا جميعا على السماحة والتراحم والود والمحبة ، ويعيشون فى ود يشهد به الجميع فى الخارج قبل الداخل ، فهم يتسمون بالسماحة والعقل الراجح والحكم العادل السليم ، وقد حرص البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية

وبطريرك الكرازة المرقسية ، على تأكيد مناخ السماحة ، وحرية العقائد يؤازره فى ذلك فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ، شيخ الأزهر ، ويدل على ذلك ما نراه من جهود جمعية الكرمة الخيرية التطوعية فى تقديم خدمات جليلة للمكفوفين والمسنين ، كما أن لها دورا مهما فى إثراء العمل الاجتماعى ، وهذه الجمعية يرعاها القمص بولس باسيلى الذى يحرص على تأكيد الوحده الوطنية وحمايتها ، وبذل الجهود البناءة فى الداخل والخارج من أجل قضايا السلام والعدالة ، والتنمية، والعمل على سيادة روح المحبة والإخاء بالمنطقة العربية ، والشرق الأوسط .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن مصرستظل دائما كنانة الله فى أرضه ، ومن أرادها بسوء قصمه الله ، وأن السبب فى قوتها ومنعتها هو وحدة صف أبنائها ، والصدق والحبة والسلام الذى يغلف كل نواحى الحياة . وقال عند تهنئته لقداسة البابا شنودة بمناسبة عيد القيامة ، وبصحبته الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف على رأس وفد من علماء الدين الإسلامى - إن التاريخ نقل عن مصر وشعبها الموحد أن السماحة هى أساس التعايش ، وأن المحن والحروب التى خاضها شعب مصر وجيشها الباسل صهرت هذا الشعب ، وجعلت التفرقة بين أبنائه مستحيلة ، وستظل مصر وشعبها المسلم والمسيحى واحة للأمن والأمان ، ومهدا للحضارة الرفيعة التى يشع نورها على كل البلدان .

وقال البابا شنودة إن الأعياد سواء المسيحية أو الإسلامية - هى مظهر حضارى للتقريب بين أبناء الشعب الواحد الذى يعيش تحت سماء واحدة ويشرب من ماء واحد ، وهى فرصة لمزيد من المحبة والود والتسامح بين كل من يعيش على هذه الأرض . وأضاف أن مصر ضربت المثل فى الحبة والتسامح اللذين جعلا منها نموذجا لكل شعوب العالم للتعاون والصدق ، والدفاع عن الأرض والعرض دون

تفرقة. وأكد البابا أن مصر الواحدة الموحدة ستظل صخرة قوية تتحطم عليها كل دعاوى الفتنة ، وأن الله عصمها ويعصمها ما بقيت الحياة .

ويقول وزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق :

إن العلاقة الحميمة بين المسلم والمسيحى هى نموذج رائع فى الوحدة الوطنية ، والتجارب والشدائد التى تمر بها الشعوب تزيده قوة وإصرارا على التمسك والسماحة التى ينعكس أثرها على النمو الاقتصادى فى شتى المجالات ، وبالتالى التقدم والازدهار بما يعود أثره فى النهاية على جميع الأفراد .

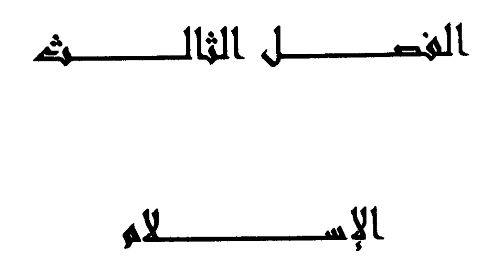
وقد وجه البابا شنودة الشكر إلى الرئيس حسنى مبارك لحرصه على توجيه التهنئة إلى الأقباط بمناسبة عيد القيامة المجيد ، كما حيا جهوده لمصلحة الشعوب ، وخدمة القضايا الإنسانية .

إن السماحة منهاج يحقق به الفرد الخير لنفسه وأمته وللمجتمع الإنساني كله ، وهى أثر من آثار الجمال الإلهى فإذا فقد الناس السماحة فقد فقدوا التعاطف والمودة والمعروف والإحسان . فالإسلام حريص على السماحة ، وجعلها دليلا على صفاء القلب وقوة الإيمان ، وحب الخير ، وسعادة المجتمع ، فالسماحة يجب أن تكون فى كل التعاملات ، أو تكون مميزة للشخصية وأن تغمر الكيان الإنسانى فى الفرد ، ويشيع روحها فى الجماعة ، فتشرق فى حياة الإنسان مع نفسه وتتضاعف فى معاملته مع الآخرين .

ويحتفل الإسلام بصور شتى من المشاعر الإنسانية التى تصور السماحة فى أبهى صورها ، فقد كانت مشاعر الرسول الكريم وسماحته تصل إلى المؤمنين والمشركين ، فعندما أسلم ثمامة بن أثال أعلن أن لن يرسل حبة قمح لأهل مكة عقابا لهم على ما فعلوا برسول الله وصحابته ، ومقاطعتهم ومحاصرتهم ، والعمل على تجويعهم ، وكتب أهل مكة إلى رسول الله يرجونه أن يأمر ثمامة بصلة الرحم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى بين قومة ، وألا يمنع عنهم ما

توعدهم به" الإسلام الدين الذى يحترم النفس الإنسانية ، ويجعل لها حرمتها ، ويحرم الاعتداء عليها ، ومن مفاخره أنه سبق المواثيق العالمية ، والدساتير الوطنية بقرون عدة فى تطبيق مبدأ الحرية الدينية فى ظل الأمن والسلام الاجتماعى القائم على مبدأ الوحدة الوطنية بين ذوى العقائد الدينية المختلفة " وإن أول وثيقة مكتوبة عرفها الإسلام باسم الصحيفة ، والتى اعتبرت اليهود والمسلمين أمة واحدة يتساوى كل أفرادها فى الحقوق والواجبات يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بينه وبينى نبى " و " من آذى ذميا فأنا خصيمه ومن كنت خصيمه خاصمته يوم القيامة " وهذا النظر الناضج إن هو إلا امتداد لما تعلمناه فى شرخ الشباب من أساتذتنا المسيحيين فقد حوى الإسلام أعدل شريعة عرفتها البشرية حتى الآن . ولم يكن هذا بالأمر المستغرب منهم وقد تربوا فى أكتاف وأعطاف ثورة مصر الخالدة عام ١٩١٩ الهاتفة بحياة الصليب مع الهلال ، والتى رفعت علما نراهما فيه متعانقين مازال مرسوما حتى يومنا هذا فى بعض الصيدليات .. وإن كنا نرجو أن يعود خفاقا فى سائر المحافل والمنازل ، وهذه الوحدة الوطنية الرائعة التى سبقنا بها دول العالم قاطبة ، وخلبت لبه جعلت زعيما أسطوريا مثل غاندى لا يتحرج من الإعلان أنه مجرد تلميذ مبتدئ فى مدرستها التى نسج عروتها الوثقى زعيم المصريين سعد زغلول هذه الوحدة ، وبعد قرون يحاول رؤساء الدول الكبرى إشاعتها الآن بين مواطنيها ..





# الفصل الثالث

# الإسلام



## خاتم الرسالات الإسلام :

جاءت شريعة الإسلام ، وهى خاتمة الرسالات إلى تكوين مجتمع فاضل يقوم على أساس الحب والتكافل والإخاء ، يضم الأسرة الإنسانية كلها ( كل الأديان ) فبدأت تربية الفرد ليكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع ، وذلك عن طريق العقيدة الشاملة والعبادات التى تقوى علاقة الإنسان بربه ، وتؤهله لحياة اجتماعية صحية ، وعن طريق الحث على مكارم الأخلاق ،وإصلاح الأفكار وتطهير النفوس ، وتقويم سلوك الأفراد وتنظيم العلاقات بوضع النظم التى تضبط حياة المجتمع بوجه عام .

فالإسلام عنى بتربية الفرد ،لأنه عماد الخلية الأولى ، فرباه على نقاء السريرة والإخلاص والنصح وصدق العقيدة ، والبر والوفاء ، والسماحة ، ومساعدة المحتاج آمرا بالتعاون والتكافل على البر والتقوى ، ناهيا عن الإثم والعدوان . فلقد حرص الإسلام على الأخوة الإنسانية مهما اختلفت الألوان ، وتباينت اللهجات ، فهو يدعو إلى التعاون بين أبناء المجتمع البشرى جميعهم دون تفرقة عنصرية أو عصبية دينية ، ولا تفضيل عنده لفرد على آخر إلا بدرجة تقواه ، وما يقدمة من عمل صالح لنفسه وللمجتمع . فقد أقامت الشريعة الإسلامية العلاقات بين أفراد المجتمع الإنسانى كله على التعارف والتعاون والعدل والتراحم ، وتبادل المنافع التى أحلها الله تعالى ، وتقوية الروابط الخيرة الفاضلة التى تسعد بها الإنسانية ، وترقى . ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة نجدها فى سلوكه وعباداته ومعاملاته ، قال تعالى : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ( الحجرات ١٣ ) .

فالإسلام يفرض على المسلم الوسطية ، لا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا إهمال.. قال تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " ( البقرة ١٤٣ ) . فقد حفظ الإسلام للإنسان حريته وكرامته ، وصان له حقوقه ، فحرم الاعتداء على النفس والعرض والشرف ، والنسب والمال والعقل والدين . وهذه الضروريات اعتبرها

الإسلام غاية وأساسا لقيام المجتمع السليم . ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يأخذ بيد الإنسان نحو الارتقاء الإنساني ليكون عنصرا فعالا في نهضة وتقدم وازدهار المجتمع ، وأن يتجرد من النزعة الفردية . والمصلحة الذاتية ، والضعف الإنساني .والقصور الأخلاقي . لكي يتحقق التوازن الحقيقي بين الفرد والمجتمع . فالإسلام دين السماحة والعدل والعمل والرحمة والإحسان والحب والمساواة والإخاء ، ينهى عن العنف والعدوان والظلم ، فهو دعوة إلى كل خلق فاضل وسلوك نبيل قال تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى " ( النحل ٩٠ ) .

السماحة هى الأصل فى بناء دولة الإسلام . وقيام الأمة الإسلامية " لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم " ( الأنفال ٦٣ ) وقال تعالى : فأصبحتم بنعمته إخوانا" ( آل عمران ١٠٣ ) أى بالسماحة ، ولذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم : يبدأ فى البناء الأخوى الكامل ليقيم دولة إسلامية على أساس سليم ، قال ابن اسحق : " وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال : فيما بلغنا : تآخوا فى الله أخوين أخوين .

لقد بلغ المسلمون الأوائل فى السماحة درجة عليا ، ومكانة عظمى بما اتصفوا به من كرم ، ويسر وسهولة ، وبما أشرق فى نفوسهم من يقين قوة الإيمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم ، تجعل النفس الإنسانية تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة ، فاصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة . والسماحة فى الإسلام هى معامله الغير معاملة كريمة ، وإقامة علاقات طيبة بين الأفراد ، فالسماحة إذا صادفت قلوبا هينت لها ، تمكنت فيها ونمت وترعرعت .وأشرقت آثارها على من حولها ، وسعت أصحاب هذه القلوب السمحة إلى بذل

مايرضى من حولها ، وكان المسلمون من خيرة من تمسك بالسماحة حرصا على التعامل مع الآخرين ، وعلى التواد .

والسماحة فى الإسلام أسلوب تربوى ، وسلوك علمى يسمو بالمسلمين ، ويصل بهم إلى ذروة مراقى الفلاح والنصر ، وآثار العلاقات تبدو فى هذه السماحة ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان لأمته أسوة حسنة ، ولنتدبر أقواله التى تحث على الإخاء والتعاون والود والرحمة ، والحب . روى الشيخان عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " وقال " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " . فإن سعادة الناس تتحقق إذا تعاطفت قلوبهم وتسامحت ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا .." فالإسلام حريص على السماحة ، وعلى التآلف والحب ،وأن يتلافى الحقد والبغض والحسد والقطيعة والهجران ، وبهذا يكون المجتمع مثاليا متعاونا ، فقد أسس الإسلام دعائم الأخوة فى الإنسانية التى تسوى بين الناس جميعا فى عبوديتهم لله عز وجل .

قال تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا " ( النساء ٣٦ ) . أمر بالإحسان إلى الجار الجنب ، وجاء ذلك الأمر معطوفا على عدد من الأوامر الجليلة فى الإسلام كتوحيد الله عز وجل ،وبر الوالدين ، والمراد به من يجاور المسلم من اليهود والنصارى ، قال بذلك ابن جرير ومجاهد وابن أبى حاتم . وذكر الإمام ابن كثير ما رواه جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الجيران ثلاثة جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ،وله حق الجوار ، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم ،له حق الإسلام وحق الجوار ، أما الجار الذى له ثلاثة فجار مسلم له حق

الإسلام وحق الجوار ، وأما الحق الثالث فحق الرحم " فهناك أخوة الدين . وأخوة النسب . وقد انفرد الإسلام بتقرير ذلك للرجال والنساء مسلمين وغير مسلمين ، حتى تسود المحبة بين الناس ، وتتحرر القلوب من وطأة التعصب ، والحقد .

لقد رد الله أنساب الناس وأجناسهم إلى أبوين اثنين ليجعل منهما ملتقى تتشابك عنده الصلات ، فالتعارف أساس العلائق بين البشر . إن الإسلام يؤكد الأبوة المادية والمنتهية إلى آدم بأبوة روحية ترجع إلى تعاليم الأديان ، ورسالة الإسلام وبذلك يصير الدين الخالص أساس أخوة وثيقة العرى ، تؤلف بين أتباعه فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتجعل منهم على اختلاف الأمكنة والأزمنة وحدة راسخة الدعامة .

إن الله عز وجل لم يخلق الناس لينقسموا ويختلفوا ،لقد شرع لهم الأديان ، وأرسل أنبياءه تترى لتقود الناس كافة فى طريق واحد .وحرم عليهم أن يصدعوا الدين ، وأن يتفرقوا حوله .

إن ائتلاف القلوب والمشاعر . واتحاد الغايات والمناهج من أوضح تعاليم الإسلام ولا ريب أن توحيد الصفوف ، واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ، ودوام دولتها ، ونجاح رسالتها . والإسلام يدعو إلى الجماعة وعدم العزلة والفرقة .

إن الدين الإسلامى هو دين المستقبل ، وأنة بسماحته يعطى المثل الأعلى لكيفية تعامل الإنسان مع الآخرين . وقد بدأت السماحة فى تاريخ الإنسانية بالإسلام الذى فتح أفاقا جديدة للبشرية بإقراره أنه من الطبيعى وجود الاختلاف والتمايز فى الألوان والأجناس والملل والشرائع واللغات والقوميات والثقافات والحضارات ، وذلك إستنادا إلى أن الاختلاف هو سبب وجود الخلق حتى يتسابقوا على طريق الخيرات .

والدين الإسلامى هو أول من اعترف بالآخر . وجعله جزءا من الذات ، وذلك بما نص عليه دستور الدولة الإسلامية الأولى ممثلا فى " صحيفة المدينة "

التى وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى السنة الأولى للهجرة فجعل اليهود أمة مع المسلمين لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ليصيروا جزءا لا يتجزأ من الأمة ومن رعية الدولة ، ومن هنا نتبين أسس قيام الدولة الإسلامية على دعائم دستورية .

ويقول المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة . إن الإسلام لم يقف بهذا الأفق غير المسبوق عند حدود الدين وشعائره وعقائده بتقريره أن تنوع الشرائع الدينية إنما هو تنوع فى إطار الدين الإلهى الواحد ، وأن جميع الأنبياء والرسل هم أبناء أب واحد وأم واحدة ، شرائعهم متنوعة فى إطار وحدة الدين وأن الإسلام لم يكتف فى العلاقة بالآخر بمجرد الاعتراف به ، وتقرير حقه فى الاختلاف ، وإنما جعل تمكين هذا الآخر من إقامة عقائده شرطا من شروط اكتمال إيمان المؤمنين بالإسلام .

ويقول الدكتور عبد الصبور مرزوق ، نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

إن جوهر الرسالات السماوية جميعا ، وعلى رأسها الإسلام هو الدعوة إلى ترشيد وتوجيه الاستخلاف الإنسانى فى الأرض بما يصل بالإنسانية إلى إقامة عالم متوازن يكون الإنسان فيه بعقيدته وفكره وسلوكه متسقا مع حركة الكون .

وتعتبر مآدب الوحدة الوطنية من العلامات المميزة فى المجتمع المصرى ، فهى تكشف أجواء التسامح والتآخى والتلاحم بين أبناء المجتمع من مسلمين وأقباط وهى تبين أيضا أن المسلمين والأقباط فى مصر وحدة فى السراء الضراء من أجل خير المجتمع فأرباب الديانات كلهم معا فى الأرض يزرعون جنبا إلى جنب ، ويأكلون ذات الطعام ، ويرتدون ثيابا وملابس متشابهة .

فالناس مخلوقون شعوبا وقبائل ، مختلفون فى أصولهم العرقية ، وفى ألوانهم ، وفى لغاتهم ، وفى ثقافاتهم ، وحتى فى عقائدهم التى يؤمنون بها ، ولكن

كل هذه الاختلافات لا تمنع الناس من التقارب والتلاحم والتفاهم ، فالمهمة الأساسية التى خلق الله الإنسان من أجلها هى تعمير الأرض ، وهذه مهمة تتسع لكى يشارك فيها كل الناس جميعا ، بصرف النظر عن عقائدهم ، وأصولهم وأجناسهم وأنسابهم .

ويقرر القرآن الكريم مبدأ الحرية الدينية فلا " إكراه فى الدين " و" لكم دينكم ولى دين " ، فكما أن كل الكائنات تختلف فيما بينها ، وكل البشر يختلفون ، كذلك يختلفون فى أفكارهم وتصوراتهم وعقائدهم ، وهذا يعنى أن يتفاهموا ، ويزداد التعارف فيما بينهم ،فالناس يميلون إلى التعرف على من يختلف عنهم ، وبذلك تزداد جسور المعرفة ، ومعها تمتد علاقات التعاون والتعاطف والتحاب ، وهذه هى آية التسامح الكبرى .

وقد اعترف الإسلام بالأديان السماوية قبله ، فهو لا يرفض إلا الإحاد ، وهو حين يقول : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس ) يشترط هذا بقوله : ( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) فكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهو فى عداد الخيرين الأخيار .. والإسلام حين يقول : ( إن الدين عند الله الإسلام ) يعنى أنه دين الفطرة السليمة ، حتى ليعد كل من سبقوه ممن سلمت فطرتهم ولسانهم وأعمالهم مسلمين .

إن الاعتراف بالأديان الأخرى حظ عظيم للإسلام ، سمة تسامح تحفظ عليه قوته ودليل قوة شخصية ووثوق . فالإسلام حضارة بما فيه من توجيه لروائع الخلق : ( أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله ) ، ( أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ) . إن فى ذلك مادة لحياة المسلم فى العلم والفن والدين ، يصوغ فيها بمختلف المواهب صورا شتى .. إنه اتحاد بالكون . والإسلام حضارة يوم دعا إلى الجميل فى العمل والقول ، وهو حضارة بعناقه مع الحياة فى ود موصول .

يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله. في كتابه عن التعصب بين المسيحية والإسلام يعتبر أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ) جزءا من الرعية الإسلامية والمعاهدات الخارجية مع الغير يمثل فيها المسلمون وأهل الكتاب - كلمة واحدة متحدة - فالإسلام يقيم نظمه الاجتماعية على أساس الاختلاط والمشاركة فى المجتمع ، وهو لا يقيم مجتمعا منفردا أو منغلقا على المسلمين وحدهم ، ويتمتع أهل الكتاب فى هذا المجتمع بكل حقوق الإنسان ، على خلاف ما نجد فى بلاد غير إسلامية من الظلم الاجتماعى ، وعدم التسامح .

## السماحة أساس التعايش :

السماحة فى الأديان تنضوى تحت مفهوم الجود والكرم ، وتعنى أيضا السهولة واليسر ، وعدم التشدد أو التعصب ، والعطاء بلا من أو أذى وعدم التكالب على الأشياء أو الحرص على الاكتناز والتملك ، ففى الإنجيل يقول السيد المسيح للمؤمنين " لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون ، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا " .

والإنجيل كلمة يونانية بمعنى الخبر السعيد أو البشارة .

ولننظر إلى السماحة فى الإسلام ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعامل أهل الكتاب - يهودا أو نصارى - معاملة تدل على جوده وكرمه ، حيث كان يزورهم ويكرمهم ،ويحسن إليهم ،ويعود مرضاهم ويأخذ منهم ويعطيهم . وذكر ابن اسحق فى السيرة : أن وفد نجران - وهم من النصارى - لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، دخلوا عليه مسجده بعد العصر ،فكانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجده ، فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " دعوهم

فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم . وعقب المجتهد على هذه القصة فـي الهدى النبوى فذكر ممـا فيها مـن الفقه " جـواز دخـول أهـل الكتاب مسـاجد المسـلمين .. وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفى مساجدهم أيضاً .

ورو ى أبو عبيد فى الأموال ، عن سعيد بـن المسيب . أن رسـول الله صلـى الله عليه وسلم " تصدق بصدقة على أهل بيت من اليـهود فهى تجرى عليـهم" روى البخارى أيضا : أن النبى صلى الله عليه وسلم مـات ودرعـه مرهـون عنـد يهودى فـى نفقة عياله ، وقد كان فى وسعه أن يستقرض من أصحابه ، وما كان ليضنـوا عليـه ولكـن أراد أن يعلم أمته - وقبل النبـى صلـى الله عليـه وسـلم ، الهدايا مـن غيـر المسـلمين ، واستعان فى سلمه وحربه بغير المسلمين ، حيث ضمـن ولاءهـم لـه ، ولم يخـش منهم شرا ولا كيدا " وروى جابر بن عبد الله ، قال " مرت بنا جنازة فقام النبى وقمنا فقلنـا : يا رسول الله إنها جنازة يهودى .. فقال : أو ليستِ نفسا : إذا رأيتم الجنازة فقوموا .

ولقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه - يوما شيخا ضريرا يسأل عـن بـاب فسأل فعلم أنه يهودى فقال له : ما ألجأك إلى ما أرى ؟

قال : الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده ، وذهـب إلى منزلـه فأعطاه مـا يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال أنظر هذا وضرباؤه فو الله ما أنصفنـاه أن أكلنـا شيبته ثم نخذله عند الهرم "

إنما الصدقات للفقراء والمسـاكين " وهـذا مـن مسـاكين أهـل الكتـاب". ومر عمر بن الخطاب يوما على قوم قد اقيموا فى الجزية ، فكـره ذلـك وقـال : يقولـون لا نجد ، قال فدعوهم ولا تكلفونهم مالا يطيقون ، ثم أمر بهم فخلـى سـبيلهم . وأصيـب عمر بضربة رجل من أهل الذمة - أبى لؤلؤة المجوسى - فلم يمنعه ذلـك أن يوصـى الخليفة من بعده ، وهو على فراش الموت ، فيقول " أوصى الخليفة من بعدى بـأهل الذمـة خـيرا أن يوفـى بعدهـم وأن يقـاتل مـن ورائـهم وألا يكلفـهم فـوق طاقتـهم " . وكذلـك ابـن عمر رضـى الله عنــه - يوصـى غلامــه أن يعطـى جـاره اليـهودى مـن

الأضحية، ويكرر الوصية مرة بعد مرة بعد مرة حتى يدهش الغلام ، وسأله عن سر هذه العناية بجار يهودى ؟ قال ابـن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " .

فتتجلى سماحة الإسلام فى حسن المعاشرة ، ولطف المعاملة - ورعاية الجوار ،وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان ، وهى الأمور التى تحتاج إليها الحياة اليومية ، ويقرر الإسلام أن الذميين فى بلد إسلامى ، أو فى بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق ،وعليهم ما على المسلمين فيها ، ويجب على الدولة أن تقاتل عن رعاياها جميعا ، وتطبق عليهم القوانين القضائية التى تطبق على المسلمين إلا ما تعلق منها بشئون الدين نفسه ، فتحترم فيه عقائدهم - فلا توقع عليهم الحدود الإسلامية فيما لا يحرمونه..

ويوضح القرآن الكريم مفهوم هذه السماحة فى الأديان ، وأساس العلاقة بينها فى قوله تعالى : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله هن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون " ( الممتحنة ٨-٩ ) .

فالبر والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعا ، ولإهل الكتاب من بين غير المسلمين منزلة خاصة فى المعاملة والتشريع ، والمراد بأهل الكتاب من قام دينهم فى الأصل على كتاب سماوى . ويبيح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب ، والأكل من ذبائحهم ، كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم المحصنات العفيفات مع ما قرره القرآن الكريم من قيام الحياة الزوجية على المودة والرحمة ، حيث أباح للمسلم أن تكون ربة بيته شريكة حياته وأم أولاده غير مسلمة ، وأن يكون أخوال أولاده ، وخالاتهم من غير المسلمين . وقال تعالى : اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من

الذين أوتوا الكتاب مـن قبلكم إذا آتيتموهـن أجورهـن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان " ( المائدة ٥ ) .

وهذا الحكم فـى أهل الكتاب ، وإن كـانوا مـن غـير دار الإسلام . أمـا المواطنـون المقيمون فى دار الإسلام فهم شركاء الوطن ونحـن وهـم ركـاب سفينة واحـدة ذات هدف مشترك ومصير واحد ، طريقـه هـو الاتحـاد والعمـل علـى نهضة المجتمـع ورقيـه ونذكر كذلك أساس العلاقة مـن سنة الرسـول صلـى الله عليـه وسلم ،يقـول الرسـول صلى الله عليه وسلم : " من ظلم معاهدا أو انتقصه حقـا أو كلفه فـوق طاقتـه أو أخـذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة " .

رواه أبـو داود والبيهقى – ، وقـال : " مـن آذى ذميـا فأنـا خصمـه ومـن كنـت خصمـه خصمته يوم القيامـة " رواه الخطيـب بإسناد حسـن – ، وقـال أيضـا : " مـن آذى ذميـا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله . رواه الطبرانى بإسناد حسن .

ومن هذا يتبين لنا أن الحماية المقررة لأهل الذمـة تتضمـن حمايـة دمائهم وأنفسهم وأبدانهم ، كمـا تتضمــن حمايـة أموالهـم وأعراضـهم ،فدمـاؤهم وأنفسـهم معصومة باتفـاق المسـلمين ،وقتلهم حـرام بالإجمـاع ، يقـول الرسـول صلـى الله عليـه وسلم: " من قتل معاهدا لم يـرح رائحـة الجنـة وإن ريحـها ليوجـد مـن مسيرة أربعين عاما " رواه أحمد والبخارى والنسائى ، وأبو داود .

إن التـاريخ الإسـلامى ، والفقـه الإسـلامى زاخـر وملـئ بمواقـف الخلفـاء الراشدين والأئمـة ،وفقهاء المسـلمين ،وأن قصـة القبطـى مـع عمـرو بـن العـاص والـى مصر حيث ضرب ابن عمرو ابن القبطى بالسوط معروفة للجميع .. وعندما بعث الإمام على بالأشتر النخعى واليا على مصر ، وكتب له عهد الولاية " ففـى العـهد حديـث عـن اختلاف الرعية فى المعتقد الدينى لا يصح أن يكون ذريعة للتميز بينهم فـى الحقـوق أو الواجبات السياسية والاجتماعية والإنسانية " فإنهم صنفان " إما أخ لك فـى الديـن أو نظير لك فى الخلق " . وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية ، حينمـا تغلب التتار علـى

الشام ، وذهب الشيخ ليكلم ( قطلو شاه ) فى إطلاق الأسرى ، فسمح القائد التترى للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال : لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ، ولا ندع أسيرا ، لامن أهل الذمة ولا من أهل الملة . فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له "

إن الأساس الفكرى هو إنسانية الإنسان أيا كان دينة أو جنسه أو لونه قال تعالى : " ولقد كرمنا بنى آدم " ( الإسراء ٧٠ ) . وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية ، والاعتقاد الصحيح أن اختلاف الناس فى الدين واقع بمشيئة الله تعالى الذى منح الإنسان الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " ( الكهف ٢٩) . " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين " ( هود ١١٨ ) . والمسلم يوقن أن مشيئة الله لا راد لها ، ولا معقب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة علم الناس ذلك أو جهلوه ، ولهذا لا يفكر المسلم يوما أن يجبر الناس ليصيروا كلهم مسلمين .. كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم : " ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" ( يونس ١١٩ ) .

إن نظرة واحدة لأقوال الخليفة أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد الذى قام لمحاربة المرتدين فى السنة الحادية عشرة من الهجرة عام ٦٣٢م لفرض هيمنة الدولة الإسلامية على الذين انشقوا على الدولة الإسلامية وهم جزء منها تثبت ذلك التسامح ،فقد قال الخليفة أبو بكر الصديق لجنوده : "لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبير ا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمالكها ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له" .

## هـذا خـلـق الله :

وجد هذا الكون منذ بلايين السنين قبل آدم عليه السلام ، فوجوده طارئ على الكون ووجد الإنسان من ظهر آدم ، والخلق إيجاد المعدوم لفرض مخصوص له مهمة ، ومهمة الإنسان لعمارة الأرض ، وعبادة الخالق ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) وقد هيأ الله للإنسان كل ما يقوم بخدمته ، الحيوان يخدم الإنسان فهو مسخر له ، والنبات يخدم الحيوان والإنسان ، والجماد يخدم النبات والحيوان والإنسان ، والإنسان في خدمه الله ... الإنسان بمختلف أشكاله وألوانه ولغاته ودياناته ، هكذا أراد الله لأمته أن تكون ، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة ، يدينون بدين واحد ، ويتكلمون لغة واحدة ، بل هم شعوب وقبائل ليتعارفوا .. ولقد كرمهم الله ( ولقد كرمنا بني آدم )، وجعلهم مختارين ،فإذا نظرت في الكون ، وجدت الإنسان هو سيد هذا الكون ، وإذا استقرأت أجناس الوجود فلم تجد إلا الإنسان ، ودونه مرتبة الحيوان فالنبات فالجماد ، ففي الإنسان جمادية ونباتية وحيوانية ،فيه كل خصائص الأجناس ، ويزيد العقل، ولا يكلف إلا بعد أن ينضج عقله ، فيعبد الإنسان من هو أعلى منه ، ولا يتدنى لمن هو أقل منه ، والعابد أدنى درجة من المعبود ، والله يقول للإنسان : خلقتك من أجلي ، وخلقت الكون كله من أجلك فلا تنشغل بما يشغلك عني .. وعلى ذلك فكلنا نعبد الله ، وكلنا طائعين للمعبود فيما يأمر به ، وفيما ينهى عنه وإن اختلفت الأديان فكلها سماوية ، تدعو إلى مكارم الأخلاق ، وإلى السماحة والعدل حتى يتفاعل الأفراد في جو يهيأ لهم ليجعلهم قادرين على تحقيق الرخاء والنماء من أجل البشرية . وطلاقة القدرة في الخلق تظهر في الحيوان ( أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ) والإنسان حيوان ناطق ،وإن كان للحيوانات الأخرى لغة يتفاهمون بها ، وتعلم سيدنا سليمان بعضا منها ، وله مع الطير والنمل قصة معروفة .

هذا الخلق المؤمن بالله قد أطاع أمر الله لعبادته ، ومن ثم فهم تحت لواء واحد ومع مبدأ عام هو السماحة كي تتحقق التنمية بمحاورها الثلاث الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أما الكافرون فهم أعداء الحق ، ولن يجدوا لهم وليا مرشدا ، حادوا عن الطريق واتخذوا من دون الله أربابا لهم فحق عليهم عذاب ، لأنهم اتبعوا الباطل ، أما الحق الذى يجمع القلوب هو الذى يؤلف الجوارح ونحن نؤمن بكل ما جاء به الله ، ونصدق بكتبة ورسله وملائكته واليوم الآخر ، يقول الحق تبارك وتعالى : " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" ( البقرة ٢٨٥ ) . لا نفرق بين موسى، وعيسى، ومحمد ، كلهم أصحاب دين ورسالة ودعوة ، والرسل متواليون توالى الإنسان فى الكون ومهمة الرسول فى إيصال البلاغ ، والبلاغ واحد مع كل رسول وإن اختلفت الأديان وهذا الاختلاف ليس بمعنى التضاد ، وإنما هو التطابق والتكامل ، فالليل ليس عكس النهار ،بل مكمل له ومتمم ، وكذلك الأرض والسماء ، والظلمات والنور ، والموت والحياة ، والماء واليابسة ، ليست هذه أضداد بقدر ما هى امتداد للنوع ، وعلى ذلك فالأديان ليست متضادة أو مختلفة ، ولكنها تهدف لغاية واحدة لأنها كلها من عند الله ، ونحن جميعا نعبد الله وعبادتنا له تتمثل فى طاعته ، ولا ذنب للمرء إذا وجد نفسه يهوديا أو نصرانيا أو مسلما أو على غير ذلك فهو يولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .. لم يختر ديانته ، ولم يستشر فى اعتناقها ، كما لم يستشر فى مجيئه فى هذه الرحلة أو هذا المشوار ،من أجل ذلك طلب أبو العلاء المعرى أن يكتب على قبر ه عبارة "هذا ماجناه أبى على وما جنيت على أحد " كذلك لم يكن للمرء اختيار فى شكله وصورته ، وإن كان الجميع على أحسن صورة خلقوا ، ولو اختاروا ما كانوا على مثل ما هم عليه .. فالحق يقول : " يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك " ( الانفطار ٧-٨ ) وكون الإنسان لم يستشر لا يعفيه من المسؤولية

فلا إكراه في الدين . ولكن إذا دخلت الدين فالتزم بأوامره ونواهيه ، وأعـود فؤأكد أن الأديان كلها بنيت على أسس واحدة ، وركائز ثابتة ، ومعاني راسخة تحمل معنى السماحة والعدالة والمودة والإخاء ، والتراحم والتعاطف والتعاون ، والكتب السماوية كلها تشير إلى ضبط المجتمع وتربية الأفراد حتى يتحقق الضبط الذاتي والضبط الاجتماعي . فهذا هو القرآن الكريم يقول : " وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " ( النساء ٥٨ ) وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين " ( المائدة ٤٢) " فاحكم بينهم بما أنزل الله " ( المائدة ٤٨ ) " وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم " ( المائدة ٤٩ ) ، " فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى "( ص ٢٦ ) . ولكل من هذه الآيات مناسبة تقضي بأهمية وضرورة إقامة العدل، والحكم به ، وهذا أمر لكل الأديان ، فالحق يقول : " وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه " ( المائدة ٤٧ ) فالإنجيل كالتوراة وكالقرآن ، فيه العدل قائم ،والهدى والنور ، يقول الله تعالى : " وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين " ( المائدة ٤٦ ) ويقول الحق تبارك وتعالى : " ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى " ( المائدة ٨ ) ومعنى شنآن : بغض ، فلا تحملنكم كراهتكم لقوم على ألا تعدلوا .

وفي قصة اليهودي والدرع والمسلم ، التي قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي بأمانته ولم يتحيز للمسلم ، أعظم دليل على العدل والسماحة .

فالأقوام وإن اختلفوا في دياناتهم . فدياناتهم تدعوهم إلى السماحة وإلى الجود والكرم ، والسهولة واليسر في المعاملات ، فهم أقرب ما يكونون إلى التجانس والتعاطف والتواد ، فالمسيحيون أقرب إلى المسلمين ، وكلاهما إلى اليهودية معظم ومبجل يقول القرآن الكريم : " ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى

الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين " ( المائدة ٨٢- ٨٣ ) والقس هو العابد ، والرهبان الذين يرهبون الله . فأقرب الناس لمحمد مودة النصارى ، ذلك بسبب أن فيهم قسيسين ورهبانا يأمرونهم بالعطف على الخلق ، والرحمة بهم ، ولا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه وإذا سمعوا قارئا يقرأ القرآن ، ترى أعينهم تفيض دمعا مما يحدثه فى نفوسهم من التأثير ، ومما تحققوه من الحق ، ويقولون ربنا آمنا به ، وبمن أنزل عليه ، فاكتبنا فى زمرة الشاهدين بذلك .

أى سماحة أعظم من هذه بين النصارى والمسلمين ، بل بينهم وبين المؤمنين ؟ إنها متمثلة فى القسيسين والرهبان ، وهم ممثلو الدين لا يستكبرون ، ولا تأخذهم العزة بالإثم ، إذا سمعوا ما أنزل من الحق ، فاضت أعينهم دمعا ، والذين تفيض أعينهم من خشية الله فهم أحب الناس إلى الله ، يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله ، ويدخلون فى رحمة الله ويساقون إلى الجنة زمرا . ولهذه السماحة دورها فى التنمية الاقتصادية فى الحياة الدنيا ، حيث البيع والشراء والزراعة والصناعة ، وإدارة الأموال ، فكلها مبنية على أساس ثابت ومتين ، فتزداد السلع وتربح التجارة ، وتنمو الأسواق فى ظل العلاقات الكريمة ، والنوايا الحسنة بين الأفراد لا فرق بين نصرانى ومسلم ، فالكل فى حق الحياة سواء ، ولا ننسى ونحن صغار كنا نستمع إلى خطب القساوسة ، وكثير من المسلمين كانوا يحرصون على حضور المناسبات الدينية التى كان يقيمها المسيحيون ، وكان منهم كذلك من يحرص على سماع القرآن الكريم ، بل ويحفظ منه الكثير فقد كانت تقام فى المناسبات الدينية احتفالات يحضرها بعض الشخصيات المرموقة فى المجتمع من المسيحيين ، بل إن منهم من كان يعرف القرآن ، ويترافع به حتى ذاع صيته ، وانتشر ذكره فى كل الأوساط ، ومن الخطب التى استمعنا لها ونحن فى حداثة عهدنا بمعرفة الديانات خطبة للقمص بولس ، فى مدينة دمنهور ، قال فيها :

ليس المسلمون من جنس سام ولا النصارى من جنس حام ، ليس المسلمون ببيض الوجوه ، ولا النصارى بسمر الوجوه . ولكن كلنا سمر لفحتنا شمس هذا الوادى ... واستمرت الخطبة لأكثر من ساعتين يدور معناها حول السماحة فى الأديان ... وعدنا بمفهوم عام عن معنى السماحة ، وإن كنا نتساءل عن بعض كلماتها من مثل سام وحام ، ومن هم الساميون ، وما هى اللاسامية . وهكذا حتى كان اليقين فأخذنا نقرأ حتى عرفنا أن من أبناء نوح سام وحام ، ثم كان الساميون أو الجنس السامى ، والمفهوم الغربى اللاسامية .

والقرآن الكريم يبصرنا بالسماحة فى الأديان ، ويكشف عن تسابق اليهود والنصارى والمسلمين لتحقيق الغاية من دياناتهم ، والهدف من تقربهم إلى الله وإرضائه لينعموا بجنته وبمكانتهم عنده فيقول الحق : " وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون " ( البقرة ١١١– ١١٣ ) .

نعم من أخلص لله ، فهو فى رحمته ، وأصل " الإسلام " الاستسلام ، وهو الخضوع . وإنما سمى المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربه . والإخلاص فى أى من الأديان نتيجة للسماحة فمن أخلص كان سمحا ، ومن ثم حق له نعيم الله ، فالجنة يمكن أن يدخلها كل من اليهود والنصارى . نعم من أخلص نفسه لله ، وترك الأوهام والأضاليل ، وتجرد من كل تخيل ، وأحسن فى عمله فإن الله يجز يه أجرا عظيما . ولا خوف عليهم فى الآخرة ، وهم لا يتكدرون ، وقد زعم اليهود أن النصارى ليسوا على دين صحيح ، وقال النصارى فى اليهود مثل ذلك ، كذلك قال الذين لا يعلمون كعبدة الأصنام فالله يقضى بينهم يوم القيامة . أما الجنة فهى لمن أسلم وجهه

لله وهو محسن ، من أسلم وجهه ، وأخضع جوارحه لطاعة ربه ، هذا هو الأساس في تحقيق أمانيهم ، الاستسلام من يهودي كان أو نصراني أو من مسلم ، هو المفتاح للولوج إلى الجنة ،وإذا رجعنا إلى الآيات لاحظنا الإجابة على أماني اليهود والنصارى بـ " بلى " وهي لا تأتي إلا إجابة عن سؤال منفي ، تقول أما للهوى نهي عليك ولا أمر ؟

فتجيب بـ " بلى " .. وفي القرآن ( أو لم تؤمن قال بلى ) فلا بد إذن في الآيات السابقة ، أن تكون " بلى " قد جاءت ( إجابة عن سؤال منفي محذوف ) كأن تقول : ألم ندخل الجنة ؟

فالإجابة حينئذ تكون " بلى " وقد تحذف إذا عرفت الإجابة من السياق كقول الله تعالى : ( ألم نشرح لك صدرك ؟ ) وتستمر الآيات في توضيح موقف اليهود والنصارى والمسلمين تحت مفهوم السماحة ، فيقول عز من قائل : " وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " ( البقرة ١٣٥ )، " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم " ( البقرة ١٣٦ - ١٣٧ ) .

قال أهل الكتاب كونوا أيها المؤمنون يهودا أو نصارى تهتدوا إلى الطريق السوي ، ولم يكن إبراهيم من المشركين ، وكان على ملة مائلة عن الباطل إلى الحق ، فلا يجب أن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، بل الكل لله مستسلما ، يؤمن بإله واحد ، ويؤمن بما أنزله على الأنبياء والرسل وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون ، لا فرق بين أحد منهم ، فالأنبياء أصحاب دعوة واحدة ، والكتب واحدة ما جاء فيها هو الحق ، التوراة والإنجيل و القرآن ،ومن قبل صحف إبراهيم وموسى ، وزبور ، داود ،

ويختلف الزبور عن هذه الكتب من أن حروفه منقوشة بارزة ، تحمل هذه الكتب في طياتها دعوة التوحيد ، حتى قيل في بعض الأنبياء إنهم على دين اليهودية أو النصرانية ، فالحق يقول : " أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ( البقرة ١٤٠ ) . إن من كان معتقدا بالله وكتبه ورسله ، ومنهم محمد ، وموقنا بالآخرة ، وعاملا بما أمر به من الصالحات ، فهو من الناجين ، مهما كان من أى دين سماوى ، والله تعالى يقول : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " ( البقرة ٦٢ )

فالكل يدين بدين صحيح ، فيه من السماحة ما يدعو إلى أن يكون امتدادا لغيره مما أنزل الله ، ولا يتهم أحد أحدا في دينه ، فاليهود والنصارى على شئ مما أمر به الله ، كذلك المسلمون ، وإن حدثت بينهم خلافات ، فهي لا تفسد للود قضية ،وما كان منهم إنما مرجعه بعض المتشددين البعيدين عن روح التسامح ، وقد بين لنا القرآن الكريم ما كان من هذا الاختلاف في قوله الله تعالى : " وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب " ( البقرة ١١٣ ) .

إذن لابد أن يجنح البعض من دائرة التسامح ، ومن دائرة الإيمان : " ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به " ( المائدة ١٤ ) ليس كل النصارى وليس كل اليهود ، وليس كل المسلمين فالبعض قد ينسى مع أنك أخذت عليهم عهدا يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، قد جاءكم محمد عليه الصلاة والسلام ، يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الآيات ، يا أهل الكتاب قد جاءكم بهذا القرآن نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضاه بالإيمان به طرق السلام ، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ويهديهم إلى صراط مستقيم . " وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم

بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير " ( المائدة ١٨ ) . اليهود والنصارى يحسنون الظن بالله ، ويتمنون أن يكونوا أحباب الله حتى ينالوا رضاه ،لكننا جميعا بشر خلقنا الله تعالى بطلاقة قدرته ، وجعل لنا كل ما يقيم حياتنا فى أرض بلا حدود أو فواصل ، فهى لكل الأنام، ولا يجب أن تكون هناك أرض بلا رجال أو رجال بلا أرض ، ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير . أما الباقون إلذين آمنوا ،وتربوا على السماحة والعطاء فلا خوف عليهم ، آمنون فى دنياهم وآمنون فى أخراهم ،أقاموا بينهم الود والإخاء فأنشؤا مجتمعا مترابطا ،يعمل أفراده فى أمن وأمان فى جميع المجالات : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " ( المائدة ٦٩ ) . وثيقة من الله بالطمأنينة لمن آمن به ، فلا يخافون ولا يحزنون ، المسلمون واليهود والصابئون والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، نجوا من عذاب الله ، بل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

نرى أسمى أنواع السماحة فى معاملة الإسلام لليهود والنصارى ولمن غيرهم ، فقد أرسل محمد عليه الصلاة والسلام خاتما للنبيين ، ومصدقا لمن قبله من الرسل ، وأنزل عليه القرآن الكريم مؤيدا للكتب السماوية المنزلة مصدقا لقول الحق تبارك وتعالى :" قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " ( البقرة ١٣٦ ) .

وفى قوله تعالى عن موسى عليه السلام " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " ( المائدة ٤٤ ) .

وفى قوله عن عيسى عليه السلام : " وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " ( المائدة ٤٦ - ٤٧ ).

وفى قوله تعالى عن أهل الكتاب من يهود ونصارى : " يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ( المائدة ٦٨ ) .

فالإسلام دين السماحة والتسامح ،ويقر المسلمون بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام ، ويجلونهما ، وينزهون نسب عيسى ، ويكفرون من ينكر رسالتهما ،والناس مختلفون فى عقائدهم وأهدافهم لحكمة يعلمها الله ،ولذلك خلقهم ،وقال : " ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " ( يونس ٩٩ ) .

وإذن فلا سبيل إلى الإكراه على اعتناق الإسلام . ولا سبيل لبغضة مخالفيه ، لأن الأمر موكول إلى الخالق الذى قال : " إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " ( القصص ٥٦ ) .

وقال تعالى : " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ( الأنعام ١٢٥ ) .

وقال : " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "( الكهف ٢٩ ) .

وقال : " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن " ( العنكبوت ٤٦ ) .

وقد حفل القرآن الكريم بدعوة المسلمين إلى التسامح ، فلم يمنع من البر بغير المسلمين فقال : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون " ( الممتحنة ٨ - ٩ ) .

وقال : " وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون "

والنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، مكلف أن يبلغ الدعوة ،ولا يحمل الناس عليها ، فقال تعالى :" فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر " ( الغاشية ٢١ - ٢٢ ) وقال : " وما أرسلناك عليهم وكيلا " ( الإسراء ٥٧ ) وقال تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله " ( آل عمران ٦٤ ) .

وأمر الله النبى أن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمى به وهذه سماحة ما بعدها سماحة : " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنة ذلك بأنهم قوم لا يعلمون " ( التوبة ٦ ) وأمر المسلمين بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين ،قال تعالى : " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا " ( الإسراء ٣٤ ) وقال : " وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا " ( النحل ٩١ ) وقال : " إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين " ( التوبة ٤ ) .

وحض النبى على التسامح وحببه إلى المسلمين بقوله وفعله ،فقال عليه الصلاة والسلام " من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة " وأمر بألا يجبر أحد من النصارى أو اليهود على ترك دينه فقد كتب إلى عامل له فى اليمن : " من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتتن عنها " وأظهر النبى وخلفاؤه وقواد المسلمين سماحة سمحة فيما عقدوا من صلح مع البلاد التى فتحوها ،فكان المسلمون مع المغلوبين كراما فى معاهدتهم،فأقروهم على عقائدهم وشعائرهم الدينية ،وأوصوا برعايتهم والمحافظة على أموالهم .. فقد عقد النبى معاهدة مع قبيلة تغلب سنة ٩ هـ وكان الإسلام قد قوى - أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم .. وصالح نصارى نجران ،وتركهم أحرارا

فى دينهم ،ووجه عماله إلى اليمن لأخذ الجزية ممن أقام على نصرانيته،وكذلك فعل مع النصارى واليهود جميعا فى بلاد العرب . واقتدى به المسلمون من بعده،فقد أوصى أبو بكر أسامة بن زيد لما وجهه إلى الشام بالوفاء لمن يعاهدهم ،وبالرحمة فى الحرب ،وبالمحافظة على أموال الناس ،ويترك الرهبان أحرارا فى ديارهم وصوامعهم .. وفى خلافته عاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرا يتحصنون فيه ،وعلى ألا يمنعوا من ضرب نواقيسهم ،أو إخراج الصلبان فى يوم عيدهم .. ونص فى المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ الذى عجز عن العمل ،أو أصابته آفة أو كان غنيا فافتقر ،بل يعال هو وأولاده من بيت المال المسلمين ما أقام بدار الإسلام .

وكان عمر بن الخطاب - على شدته - رقيقا بأهل الكتاب فقد نصح سعد بن أبى وقاص لما أرسله إلى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة ،وبألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها إلا إذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه ،وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئا ،لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها ،وحذره من أن تضطره حرب أعدائه إلى ظلم الذين صالحوه ،وأوصى أبا عبيدة الجراح بقوله : " وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحقها ،ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم " فحقق أبو عبيدة ما أراد عمر ،وعاهد أهل الشام معاهدة سمحة.

وقد أعطى عمر أهل إيلياء أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم ،ولا يضار أحد منهم ،ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن،وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ،فمن منهم فإنه آمن على نفسه وماله ،حتى يبلغوا أمانهم ،ومن أقام منهم فهو آمن ،وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية .

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسيروا بأنفسهم وأموالهم إلى الروم ويخلوا بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

وفي عهده عاهد خالد بن الوليد أهل دمشق على الأمانة على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم ،لا يهدم ،ولا يسكن شئ من دورهم ولا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء المؤمنين .

ولم ينس عمر واجبه في رعاية أهل الكتاب في وصيته لخليفته ،وهو يجود بروحه ،لأنه يعلم أنهم بعض شعبه ،فهو مسئول عنهم فقد أوصى خليفته بأن يفي بعدهم ،وأن يقاتل من ورائهم ،فلا يجعل ديارهم ميدانا للحرب ،وألا يكلفهم فوق طاقتهم .

ثم فتح المسلمون بلاداً أخرى ،وسلكوا مع أهلها مسلك السماحة ،فقد نص في الصلح مع أهل أذربيجان على ألا يقتل المسلمون أحدا من أهلها ولا يأسروه ،ولا يهدموا بيتا من بيوت النار .

ويسجل التاريخ أعظم سماحة في العدل والمساواة حينما شكا يهودى عليا بن أبي طالب للخليفة عمر ،فقال عمر لعلى : قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك ففعل على ،وعلى وجهه علامة التأثر فلما فصل عمر في القضية ،قال لعلى : أكرهت يا على أن تساوى خصمك ؟ قال : لا ،لكنى تألمت لأنك ناديتنى بكنيتى ،فلم تسو بيننا فخشيت أن يظن اليهودى أن العدل ضاع بين المسلمين .

ولقد حرص فقهاء المسلمين على العناية بأهل الذمة ،وكتبوا في ذلك كثيرا.من هذا أن أبا يوسف القاضى كتب إلى الرشيد ينصحه بقوله : " وينبغى يا أمير المؤمنين - أيدك الله - أن تتقدم في الرفق بأهل الذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم والتفقد لهم ،حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ،ولا يكلفوا فوق طاقتهم ،ولا يؤخذ شئ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم "

فانبهر بسماحة الإسلام وتسامح المسلمين سكان البلاد المفتوحة ،وانطلقت ألسنتهم بالثناء على المسلمين ،لأنهم رأوا من المسلمين سموا فى الأخلاق ،ونبلا فى المعاملة ،وسماحة لم يعهدوها من قبل حينما كان يحكمهم الفرس والروم .

وقد تسامح المشرعون من أئمة المسلمين مع الذميين ،من ذلك ما جاء فى العهد الذى وضعه الإمام الشافعي : " لك ولهم على وعلى جميع المسلمين الأمان ما استقمت واستقاموا بجميع ما أخذنا عليكم .وذلك أن يجرى عليكم حكم الإسلام ، ولا حكم خلافه بحال يلزمكم ،ولا يكون لكم أن تمتنعوا منه فى شئ رأيناه نلزمكم به ... واستمرت أسس العهد عادلة سمحة تكفل للذميين أن يعيشوا أحرار العقيدة والنفس فى بلاد المسلمين ،وأن يطمئنوا على أرواحهم وأموالهم ،بل إنها تكفل للذميين والمسلمين أن يعيشوا فى الوطن الواحد أخوة متعاونين متحدين .

وتتجلى سماحة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وسماحة الإسلام فى صلح الحديبية ،فقد قبل النبى صلى الله عليه وسلم شروط قريش القاسية وقال : " إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ،وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ،وإنا لا نغدر بهم " وقد عامل عليه الصلاة والسلام أسرى بدر معاملة حسنه ذلك بأن وزع الأسارى السبعين على أصحابه ،وأمرهم أن يحسنوا إليهم ،فكانوا يفضلونهم على أنفسهم،وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المدينة وكذلك أطلق أسرى بنى المصطلق ،وقال لقريش لما فتح مكة : " اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم ،يغفر الله لى و لكم " ومنع المسلمين فى غزوة خيبر،من أن يدخلوا بيتا من بيوت اليهود إلا بإذنه ،ومن أن يضربوا نساء اليهود أو يعتدوا على ثمراتهم ،وكان عليه الصلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم،ويواسيهم فى مصائبهم ،ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمعون فى جماعة يحكمها قانون واحد ،وتشغل مكانا مشتركا فقد كان يقترض منهم نقودا ويرهنهم متاعا ،ولم يكن ذلك عجزا من أصحابه عن اقتراضه ،فبعضهم

كان ثريا ،وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ،بل كان يفعل ذلك تعليما للأمة ،وتثبيتاً عمليا لما يدعو إليه من سلام ووئام ،وتدليلا على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم .

وكان عمر بن الخطاب بالشام ، وقد حانت الصلاة وهو في كنيسة القيامة ،فطلب البطريق من عمر أن يصلي بها ،وهمّ أن يفعل ثم أعتذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيدعي المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم ،فيأخذوها من النصارى ،وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التي صلى عليها إلا واحداً واحداً غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين .

إنها سماحة تنبع من نفس طاهرة ،وتعتمد على بصيرة نفاذة بعيدة المرمى،سماحة مضاعفة لأن صاحبها لا يعتمد على سماحته وحده ،ولا على تحلله من التبعة وحده ،إنما يريد ممن يجيئون بعده طال الزمن أو قصر أن يكونوا سمحاء مثله،ويريد أن يتحلل من تبعة يومه وغده ،وإن لم يكن له في المخالفة ضلع.

وبينما هو يسير بالشام لقية قوم من نصارى أذرعات يلعبون بالسيوف والريحان أمامه ،كما تعودوا أن يفعلوا في الاحتفال بالعظماء ،فقال: " ردوهم وامنعوهم " لأنه كان يكره الأبهة والمظاهر ،فقال أبو عبيدة بن الجراح : يا أمير المؤمنين هذه عادتهم ،وإنك إن تمنعهم يروا أن في نفسك نقضا لعهدهم ،فقال عمر: "دعوهم ،عمرو آل عمر في طاعة أبي عبيدة "

واشتهر عنه أنه كان ينصف من يشكو إليه من النصارى واليهود ،فقد علم أن الوليد بن عقبة واليه على بني تغلب النصارى قد توعدهم ،فخشي أن يوقع بهم شرا فعزله وولى غيره.

ومر برجل يسأل على الأبواب ،وكان الرجل ضريرا فقال له عمر : " من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي . قال عمر : " فما الذي ألجأك إلى ما أرى ؟ قال الجزية والحاجة والسن ،فأخذ عمر بيده ،وذهب به إلى منزله وأعطاه مما

وجده.وأرسل إلى خازن بيت المال وقال له : انظر هذا وضرباءه ،فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم . ووضع عنه الجزية .وأمر أن يعطى من الصدقات قوم من النصارى مصابون بالجزام ،وأن يرتب لهم القوت ،وكذلك كان ابنه عبد الله حدث مجاهد قال : كنت عند عبد الله بن عمر ،وغلام له يسلخ له شاه ،فقال : يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى . وقال ذلك مرارا ،فقال له كم تقول هذا فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

وقد كتب المسيحيون إلى أبى عبيدة فى الشام وهو معسكر فى فحل،يقولون : يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم ،وإن كانوا إلى ديننا ،أنتم أوفى لنا ،وأرأف بنا ،وأكف عن ظلمنا ،وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا .

وغلق سكان حمص أبواب مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل ،وأعلموا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب من ظلم الرومان وتعسفهم.

وفى موقعة الجسر سنة ١٣ هـ كاد المسلمون ينهزمون هزيمة ساحقة ،وهم محصررون بين الفرات والجيش الفارسى ،وإذا بزعيم مسيحى من قبيلة طئ ينضم إلى المثنى القائد المسلم ويساعده فى النجاة والارتداد المنظم .وكذلك رحب القبط بالفتح الإسلامى ،ولقوا من عمرو أعظم التسامح لأنه أنقذهم من الاضطهاد الدينى ،ومن عسف الروم وتنكيلهم بمخاليفهم فى المذاهب.

ويذكر لنا التاريخ أن عمرا كتب بيده عهدا - بعد استيلائه على حصن بابليون - بحماية كنيستهم ،ولعن أى مسلم يخرجهم منها ،وكتب أمانا للبطريق بنيامين ،ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه ثلاثة عشر عاما ،وأمر باستقباله بالحفاوة عندما سار إلى الإسكندرية .

ولم يكن اختلاف الدين مانعا للذميين من أن يوظفوا في الدولة فعمر ومعاوية وظفا المسيحيين ،وكان لمعاوية طبيب نصراني ،وشغل المسيحيون مناصب عالية في بلاط الخليفة مثل الأخطل شاعر البلاد ،ويوحنا الدمشقي مستشار عبد الله بن مروان ،وقد ظل كتاب الدواوين حتى زمن عبد الملك ابن مروان من غير المسلمين ،واستمر هذا التسامح يتمشى مع العصور.

ولم يكن اختلاف الدين أيضا حائلا بين العلماء والمتعلمين ،فإن كثيرا من أهل الكتاب درسوا على علماء من المسلمين ،ومنهم حنين بن اسحق درس على الخليل بن أحمد ،وعلى سيبويه ،ويحيى بن عدى بن حميد العالم المنطقي ،تتلمذ على الفارابي ،وثابت بن قرة درس على محمد بن موسى . وابن جَزلة تلقى على على بن الوليد المعتزلي ،ثم أسلم فيما بعد.

وطالما درس المسلمون على المسيحيين واليهود ،في غير تحرج ولا استعلاء،وتاريخ المسلمين حافل بتلقيهم عن مخالفيهم في الدين،وانتفاعهم بتجاربهم وعلومهم ومؤلفاتهم.

فقد اشتهر عن الأمير خالد بن يزيد ( المتوفى سنة ٨٥ هـ ) أنه كان مشتغلا بالكيمياء بإرشاد راهب مسيحي ،وفي عهد عمر بن عبد العزيز نقل كتاب أهرون في الطب ،ثم عظم النقل في العصر العباسي الأول ،وفي كتاب طبقات الأطباء والفهرست وغيرهما أسماء مئات من النقلة مثل حنين بن اسحق ،وابنه اسحق ،ومتى بن يونس ،ويحيى بن عدى واسحق بن زرعة ،كما كان بعض المسلمين في الشام يتخرجون على المسيحيين ،كما أخذوا العلم من الفرس واليهود والمجوس ،ونقلوا عن الهنود كثيرا من حكمة الهنود في عهد المنصور و الرشيد وترجم يعقوب الرهاوى ( ٦٤٠ - ٧٠٨ هـ ) كتب اليونان في الإلهيات والفلسفة ،وهو الذى أفتى بأنه يجوز للقسس المسيحيين أن يقوموا بتعليم أبناء المسلمين .

ولقد أشاد المنصفون بسماحة الإسلام ،قال المستر درابر المؤرخ الأمريكي كانت إدارة المدارس بفضل سماحة الخلفاء ونبلهم - موكوله الى النساطرة تارة والى اليهود تارة أخرى ،ولم يكن المسلمون ينظرون إلى البلد الدى عاش فيه العالم ولا إلى الدين الذى يعتنقه بل ينظرون إلى مكانته من العلم والمعرفة.

## ركيزة السلام التسامح :

وليس أدل على سماحة الدين الإسلامى مع غير المسلمين من القرار الذى اتخذه فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك ،رئيس جمهورية مصر العربية ،والذى تجسد فى جعل ٧ يناير عيدا قوميا لكل المصرين ،يأخذ فيه جميع المصرين إجازة لكى يهنئ المسلمون إخوانهم المسيحيين بالعيد كعيد الأضحى وعيد الفطر ،وبذلك يعيد الرئيس الزمن الجميل فى الوحدة الوطنية ،و الذى فاق زمن سعد زغلول فى مصداقيته فى الوحدة الوطنية ،فقد أصبحت حقيقة واقعية تعاش يوميا فى المحاورات الحياتية ،وحقيقة لا ينكرها أحد فى الصداقة بين البابا شنودة ،وشيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى .

إن سماحة الإسلام مع غير المسلمين لا حدود له كما قال أستاذ القانون الجنائى دكتور نبيل لوقا بباوى لأن الإسلام يحترم الإنسان لكونه إنسانا بغض النظر عن ديانته وعن جنسيته أو لونه ،فقد ورد فى سورة الإسراء آية ٧٠ " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " وعلى ذلك لكل إنسان كرامته واحترامه لكونه إنسانا ،وقد ورد فى صحيح البخارى عن جنازة مرت على الرسول صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفا .فقيل له يا رسول الله إنها جنازة يهودى ،فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ،أليست نفسا رغم أن الجنازة ليهودى ،وما أكثر مالقاه من اليهود فى بداية الدعوة الإسلامية ولكنه وقف احتراما للجنازة .

وينظر الإسلام إلى الأديان السماوية نظرة متحضرة ،وهو يعترف بجميع الأديان السماوية السابقة ،وأن اختلاف الأديان أمر وارد بمشيئة الله وإرادته ،والله أنزل الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ،ومنح الإنسان حرية الاختيار ،وأن يتبع أي دين سماوى بإرادته الحرة ،وقد ورد ذلك فى سورة الكهف آية ٢٩ " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " ولذلك فالإسلام فى سماحته مع كل أجناس الأرض يقرر احترام أصحاب الديانات ت لأخرى ،ولا يفرض على أحد تغيير ديانته ،ولا يجوز لأحد من المسلمين حتى الرسول أن يجبر أحد على تغيير ديانته.

وهكذا يتضح مدى احترام الإنسان لكونه إنسانا ،ومدى احترام الإنسان لأصحاب الديانات الأخرى من مباشرة عقائدهم ،لذلك كان جميلا من الرئيس مبارك أن ينحاز لسماحة الإسلام مع غير المسلمين ،ويطلق صيحته التاريخية فى أسوان باعتبار يوم ٧ يناير عيد القيامة إجازة لجميع المصرين ،والرئيس فى ذلك ينفذ سماحة الإسلام مع غير المسلمين .

لقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم ،ببناء مسجده فى المدينة عام ٦٢٢ م فى العام الثانى للهجرة وزاره وفد من النصارى مـن آل نجران ،ودار بين وفد النصارى والرسول صلى الله عليه وسلم ،حوار لكى يدخل النصارى تحت حماية الدولة الإسلامية ،على أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية فى كنا نسهم ،ووافقهم الرسول على ذلك على أن يحميهم المسلمون من أى اعتداء خارجى.

وافق الرسول صلى الله عليه وسلم ،دون دفع الجزية لأنها لم تكن فرضت بعد،وأثناء وجودهم داخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .كان الوقت بعد العصر ،فكان وقت صلاة النصارى المسيحيين ،وأرادوا الصلاة داخل المسجد ،ولكن الصحابه منعوهم من الصلاة ،فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ،للصحابة دعوهم وصلى المسيحيون داخل المسجد صلاتهم .

هذا هو صحيح الدين الإسلامى الذى نفذه الرئيس مبارك وجعل الوحدة الوطنية حقيقة واقعية فى مصر .

إن صلة المسلم بالناس تشملها السماحة .ويظللها الحلم ويحيط بها العفو وضبط النفس ،وذلك من علامات التقوى وأمارات الإيمان ،كما أنه من دلائل قوة النفس وسموها واعتدادها بإيمانها ،ولم يكن الإسلام حربا على الإنسانية بل ناشرا للواء السلم والحب والتراحم والمودة .

الإسلام فى كل تشريعاته وخصائصه كل منسجم يهدف إلى غايات نبيلة ويعتمد فى وصوله إليها على وسائل نبيلة ، فالإسلام أولا دين الله لكل الناس ،لم يأت لجنس دون جنس ،فهو عقيدة منفتحة وليست منغلقة ،والتسامح ركيزة أساسية فى سياسة الإسلام ،وكان له دوره فى نشر الإسلام ،وإقبال الشعوب عليه ،وقد شرعت الحرب فى الإسلام لمنع الطواغيت عن مقاومة الحق والعدل .ولإرهاب الباطل ،ومع ذلك فهذه الحرب لها آداب إنسانية لم يشهد التاريخ تطبيقا لها يقارب التطبيق الإسلامى الإنسانى الفريد ،فالحرب فى الإسلام جزء من رسالته فى تحرير المستضعفين فى الأرض ،والمسلمون ملزمون بالوفاء بكل الوعود والعهود والمواثيق التى بينهم وبين الآخر ،ولا يجوز لهم نقض العهود ،قال تعالى : "وأفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها " (النحل ٩١).

إن الأخلاق الحضارية ،ومظاهر الفروسية ونواحى العمران التى تركها المسلمون فى الأندلس وصقلية ،وجزر البحر الأبيض الأخرى ،والتى ما زالت حية يعترف الأوربيون بفضلها ويحتفلون بها كتراث خالد عاش بينهم هذه الأخلاق والآثار العمرانية التى اتصلت بنور الإسلام واستضاءت به أكبر دليل على طبيعة وحضارة الإسلام ورسالته الإنسانية الخالدة ..

وقد تعامل الإسلام مع جميع البشر على أساس وحدة الأبوين ،والأصل والوشيجة العامة وفق ما بين القرآن الكريم عن الحكمة من اختلاف الناس شعوبا

وقبائل مع انحدارهم من أصل واحد ،ليكون التعارف والتآلف ،لا التمايز والاختلاف ولا التناحر والانشقاق ،ولا التعصب والافتخار ،ففى نهاية المطاف الأصل واحد ،يقول النبى صلى الله عليه وسلم :"والناس بنو آدم وآدم من تراب "والمعيار الفريد الذى يتمايز به البشر ،والميزان الدقيق الذى يتفاضل به الناس ،وتعلوا درجاتهم عند الله تعالى هو التقوى ،فإذا كان التنوع بين بنى البشر شعوبا وقبائل يحقق هدفا دنيويا نبيلا هو التعارف ،فإن الأديان السماوية تسعى على اختلافها فى الأصل لتحقيق غايات عظمى وأهداف مقدسة تضمن سعادة الدنيا والآخرة ،لأنها وإن تعددت أشكالها فهى أيضا تعود إلى أصل واحد هو الله ،وإلى جوهر واحد عبادة الله ونشر القيم والمثل الإنسانية العامة ،هى رسالات متلاحقة متتالية يكمل بعضها بعضا مهما تعدد الرسل والأنبياء المبلغون ،وتنوعت الكتب المنزلة عليهم ،واختلفت أجناسهم ،وتلونت ألسنتهم ،وتباعدت أزمانهم ،وتناءت بلدانهم ،كلهم أمة واحدة يعبدون ربا واحدا ،ولا يتميز أحد عن أحد إلا بقدر اتباعه هدى الله ،وسيره على صراطه المستقيم ، واتقائه رب العالمين.

## حقوق الإنسان :

هناك من يزعمون بأن أموال غير المسلمين غنيمة ،وهذا زعم باطل واستدلال فاسد لأن حفظ المال فى الإسلام مصلحة ضرورية ،لهذا كان الشارع لها مكفولا من الأحكام التى تحقق كمال التنعم بها ،ويوصل إلى حسن استخدامها ليؤدى المال رسالته فى الحياة ،ويكون كما أراد الله له أداة بناء ،ومصدر عطاء لا معول هدم ووسيلة ظلم وحقد ،ومنهج الشريعة الإسلامية فى هذا الخصوص يتسم بالدقة والتكامل يقول الله تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم " ( النساء ٢٩ ) ويقول عز من قائل : " ولا تأكلوا

أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون " ( البقرة ١٨٨ ) .

ووجه الدلالة في هاتين الآيتين الكريمتين أن الحق سبحانه قد نهى في الآية الأولى عن أكل أموال الناس بالباطل ،واستثنى التعامل به عن طريق الرضا . وفي الآية الثانية نهى أيضا عن أكل أموال الناس بالباطل ليكون وسيلة لأكل فريق من أموال الناس بالإثم فيكون المنهى عنه حراما ،وما خرج با لاستثناء على خلافه ومن باب أكل أموال الناس بالباطل المنهى عنه جحد الحقوق ،وما لا تطيب به نفس مالكه ،وأخذ مال الغير لا على وجه إذن الشرع .وفي هذا دلالة على أن أكل المال دون رضا مالكه ،وعلى غير الوجوه المشروعة يكون حراما أعم من أن يكون ذلك المالك مسلما أو غير مسلم ،ومن ثم يكون الرضا هو المشروع بالنسبة لهما . وتوجيه الخطاب للمؤمنين لا يغير من هذا المعنى ،وحكمه يسرى على جميع المسلمين بالنص،وعلى غير المسلمين بالعهد ،إذ بمقتضاه يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ،ولا يتفق مع عدالة الإسلام وسموه أن يجرى على غير مال المسلمين ما حرم مثله على مال المسلمين في هذا الأمر الواضح في دلالته على رضائية التعامل بالنسبة للمسلمين وغيرهم .

وروى أبو بكره نفيع بن الحارث رضى الله عنه ،أن النبى صلى الله عليه وسلم - قد خطب الناس يوم النحر في حجة الوداع ،وقال : " أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا - ثم قال :ألا ليبلغ الشاهد الغائب "

وروى عمرو بن يثربى ،قال :" ولا يحل لا مرئ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه " فقد دل هذا الحديث على أن مال المرء لا يحل إلا برضاه التام ،وليس فيه ما يدل على اختصاص ما للمسلم بحكم دون مال غيره ،بل إن منطوقه يدل على أن مال المسلم وغيره في الحكم سواء إذ المرء هو الإنسان "فيكون معنى الأخوة في

الحديث مراد به أخوة الإنسانية ،وهى تشمل الناس جميعا دون تفرقة بين المسلم وغيره . وروى أبو يوسف فى " الخراج " ما جاء فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لأهل نجران " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أموالهم وملتهم وبيعهم ،وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير... " فقد أجمع الفقهاء على أنه لا يجوز أن يؤخذ من مال غير المسلمين غير ما اشترط عليهم وصولحوا عليه إلا بطيب أنفسهم . وقد نقل هذا الإجماع عن الأوزاعى أبو عبيد فى الأموال فقال : " فأما ما زاد على ما اشترط عليهم وصولحوا عليه فما علمنا أحد رخص فيه فى قديم الدهر ولا حديثه وفى ذلك آثار متواترة . وقد أجمع الفقهاء على أن من سرق مال ذمى قطعت يده ،ومن غصبه عزر ،وأعيد المال إلى صاحبه ومن استدان فعليه أن يقضى دينه ،فإن مطله وهو غنى حبسه الحاكم حتى يؤدى ما عليه .وبلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم وممتلكاتهم أنه يحترم ما يعدونه حسب دينهم ،مالا وإن لم يكن مالا فى نظر المسلمين . فالخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالا متقوما ،ومن أتلف لمسلم خمرا أو خنزيرا لا غرامة عليه ،ولا تأديب ولا يجوز للمسلم أن يمتلك هذين الشيئين لا لنفسه ،ولا لبيعها للغير ،أما الخمر والخنزير إذا ملكها غير المسلم فهما مالان عتده ،بل من أنفس الأموال كما قال فقهاء الحنفية فمن أتلفها عليه غرم قيمتها . ولعل من أبرز ما أكدته النصوص الشرعية من حقوق الإنسان ،الحقوق التى تتعلق بشخصه وبعيشه فى المجتمع حيث قرر الإسلام للإنسان من الجانب الإيجابى حقوقا اجتماعية تكفلها الدولة لرعاية شئونه ،وتأمين الحياة والعيش الكريم له ،كما أكد الإسلام من جانب آخر على صيانة وحماية شخص الإنسان بتحريم التجسس والاعتداء عليه وظلمه وإيذائه بغير وجه حق،إضافة إلى التشريعات الأخلاقية التى تضمن هذه الحقوق كمنع الغيبة والحسد والكبر والاحتقار للإنسان والحث على مكارم الأخلاق .

لقد أوجبت الأدلة الشرعية تأمين حقوق الإنسان ،وجعل الدولة مسئولة تجاه الرعية كما أوجبت على الدولة رعاية شئون كافة مـن يحمـل تابعيـة الدولـة ،وحمايته وحفظ حقوقهم والعدل بينهم من مسلمين وغير مسلمين ،وجرمت الدولة الحيف بين أفراد الرعية بسب الدين أو الطائفة أو الجنس أو اللـون أو غير ذلـك ،ويقتضـى ذلـك مسئولية الدولة عن رعاية كافة الشئون للرعيـة ،وإيصـال الحقـوق لأهلها ويستوى فـى ذلك المسـلم وغير المسلم مـن ذميين أو معاهدين مقيمـين فـى ديـار الإسلام ،كما يقتضى إقامة الأحكام مـن قبـل الدولـة لمنـع التظـالم بـين الرعيـة ،ومنـع ظلـم الرعيـة ،والأدلة على ذلك عديدة فى الكتاب والسنة حيث أمر الله تعالى بالعدل فيقـول عـز وجل : " وإذا حكمـت بين النـاس أن تحكمـوا بـالعدل .. "( النسـاء ٥٨ ) " .. وأمرت لأعدل بينكم .. ( الشورى ١٥ ) " وإن حكمت فاحكم بينـهم بالقسط " ( المـائدة ٤٢ ) " إن الله يـأمر بـالعدل والإحسان وإيتـاء ذى القربـى وينـهى عـن الفحشـاء والمنكـر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون " ( النحـل ٩٠ ) . هـذه النصـوص القاطعـة فـى القرآن الكريـم شرعت للعمـوم ،ولم يخص بها تعالى قوما دون قـوم ،أو أناسا دون آخريـن ،حيث إن شرائع الأديان كلها هى للناس كافة ،قال تعالى : " ومـا أرسـلناك إلا كافـة للناس بشيرا ونذيرا " ( سبأ ٢٨ ) . فالأمر بالعدل ،وتحريم البغـى أو الظلم عام لجميع الخلق ،وفى كل الأديان ،مما يجعل حقوق الإنسان فـى المجتمعات حقوقا شمولية لكل أفرادها . كما جاء القرآن الكريم بالعديد مـن أحكـام رعايـة الشئون مـن أحكـام الصدقات وتوزيع الغنائم على مستحقيها لرعاية الشـئون الاقتصاديـة للمحتـاجين ،قـال تعـالى : " إنمـا الصدقـات للفقـراء والمسـاكين والعـاملين عليـها والمؤلفـة قلوبـهم وفـى الرقاب والغارمين وفـى سـبيل الله وابـن السـبيل فريضـه مـن الله والله عليـم حكيـم " ( التوبة ٦٠ ) وقـال تعالى : " ما أفـاء الله علـى رسـوله مـن أهـل القرى فللـه والرسـول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السـبيل كـى لا يكـون دولة بين الأغنياء منكـم "( الحشر ٧ ) .

إن حقوق الإنسان فى الإسلام تتمثل مقاصدها فى قيام مصالح الناس فى الدين والدنيا معا ،وقد وعى فى كل حكم من أحكامها إما حفظ شئ من الضرورات الخمس وهى : الدين والنفس والعقل والنسل والمال ،والتى تعد أسس العمران المرعية فى كل ملة ،وإما حفظ شئ من الحاجيات كأنواع المعاملات ،وإما حفظ شئ من التحسينات التى ترجع إلى مكارم الأخلاق ،وإما تكميل نوع من هذه الأنواع بما يعين على تحققه ،وحفظ هذه الأنواع يعنى حمايتها من أى اعتداء عليها . وهذه الحماية حق لكل فرد ،فهى إذن تمثل حقوقا للإنسان . وترجع حقوق الإنسان إلى حقين : حق الإنسان فى المساواة وحقه فى الحرية ،وكل حقوق الإنسان الأخرى تنبثق من هذين الحقين . ويؤسس القرآن الكريم حق الإنسان فى المساواة على وحدة الأصل البشرى ،وشمول الكرامة الإنسانية لكل بنى آدم . أما وحدة الأصل البشرى فإن القرآن الكريم أكدها تأكيدا واضحا لا يقبل التأويل حين أشار إلى أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة ،معتمدا معيارا للتفاضل بين الناس هو معيار الثراء الداخلى للإنسان ،وما يرتبط به من موقف روحى يحفز الإنسان إلى العمل المثمر وبذل الجهد فى سبيل إقرار الحق والعدل والسلام - وهو ما يتمثل فى التقوى -أما شمول الكرامة الإنسانية فقد منحها الله تعالى لكل البشر بلا استثناء لتكون سياجا من الحصانة والحماية لكل فرد ،فالجميع سواء أمام الله.

## الإعلان العالمى لحقوق الإنسان :

إن قضية حقوق الإنسان من القضايا التى تستحوذ على اهتمام المجتمع الدولى ،وإذا رجعنا إلى المصطلح نجده جاء بصورة المفرد "حق " فى الخطاب القرآنى والسنة والفكر الإسلامى ،كما نجد مصطلح الناس عندما يتوجه الخطاب القرآنى إلى البشرية جمعاء ،كذلك ذكر القرآن الكريم مصطلح " بنى آدم " لتعميم الخطاب إلى جميع البشر .. وقد استخدم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

مصطلحى " حق " و " ناس " فى كثير من أحاديثه ،فقال : " إن لنفسك عليك حقا ولبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه " وهو هنا يؤكد مبدأ من مبادئ حقوق الإنسان فى الإسلام ،وهو إعطاء الحقوق لأصحابها ،ولمن يستحقها بدون قيد أو شرط . فمبادئ حقوق الإنسان المتعارف عليها عالميا والمذكورة فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان موجودة وثابتة فى النصوص الإسلامية " القرآن الكريم والأحاديث الشريفة " بل إن بعض المصطلحات المذكورة فى هذه النصوص الإسلامية الثابتة موجودة حرفيا فى النسخة العربية للإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى صاغته دول العالم ،وأقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٨ ،ويطبق المسلم مبادئ الإسلام هذه إنطلاقا من إيمانه بالله ومن تقديسه للقرآن مع التطلع إلى التطور والتجديد بما يتناسب مع المتغيرات الاقتصادية ،والاكتشافات العلمية ،مع الإيمان العميق بأن النصوص الإسلامية الثابتة فوق كل مقارنة لاختلاف طبيعتها عن طبيعة المواثيق الدولية الوضعية.

وإذا بحثنا عن الأهداف الرئيسية من وراء الإعلان العالمى لحقوق الإنسان لوجدناه فى الديباجة التى تسبق مواد هذه الوثيقة : لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة فى جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام فى العالم ،فإن الجمعية العامة تنادى بهذا الإعلان العالمى لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذى ينبغى أن تستهدفه كل الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة فى المجتمع إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية ،واتخاذ إجراءات مطردة قومية وعالمية لضمان الاعتراف بها ،ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء نفسها.

ويستخدم القرآن تعبير " بنى آدم " للتركيز على أن المقصود هو الإنسان منذ بدء الخليفة،فيقول : " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم

من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " ( الإسراء ٧٠ ) فالتكريم مرتبط بإنسانية الإنسان ، وليس بانتمائه إلى دين أو عرف أو لون أو جنس دون آخر .

ونجد الرسول الكريم يفضل العلماء على سائر الناس بقوله صلى الله عليه وسلم : " العالم والمتعلم شريكان في الخير ،ولا خير في سائر الناس " وقد أثار هذا إعجاب المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون الذي أخذ هذا الحديث كمرجع ليشيد باهتمام الإسلام بالعلم والعلماء،فكتب في كتاب " حضارة العرب " أن العلم الذي قد استخفت به أديان أخرى قد رفع المسلمون من شأنه عاليا ،وإليهم ترجع الملاحظة التي تقول باسم الدين : إنما الناس هم الذين يتعلمون ويعلمون ،أما ماعداهم فمضر ،ولا خير فيه " .

وفي حق الإنسان بالتمتع بالحقوق والحريات ،يقول الرسول الكريم : " يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد،لا فضل لعربي على أعجمي ،ولا أعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود،ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ،إن أكرمكم عند الله أتقاكم "واعتبر هذا الحديث ركيزة أساسية في إقرار مبادئ حقوق الإنسان ،وعدم التمييز بين إنسان وآخر مادام أن الرسول يوجه الخطاب إلى الناس جميعا وكذلك قال عليه الصلاة والسلام : " الناس سواسية كأسنان المشط " فالناس جميعا متساوون،ولكل شخص حرية التفكير والضمير والدين .. ولنسمع لصيحة عمر بن الخطاب التي سجلها التاريخ : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "

## الدور الحضاري :

إن الله الذي خلق عباده هو وحده الذي يعلم تكوينهم وصياغتهم ،ويعلم طاقتهم واحتمالهم ،ومدى قدراتهم واستعدادهم ،وهو وحده سبحانه الذي أنزل الحق ،وما جاء دين الله الذي أنزله على رسوله مطابقا لسنن الفطرة في تكوين

الشخص .لذلك جعل الدعوة إلى الله فيها يسر و سهولة ولين ورفق . إن الإسلام يحث على المحبة والأخوة ،والسماحة.

والواقع يعلمنا أن الأسلوب الخشن يضيع المضمون الحسن ،ولقد ورد فى الأثر : من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف .وقال الإمام الغزالى فى الإحياء " كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " " ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به ،رفيق فيما ينهى عنه " وذكر أن رجلا دخل على المأمون الخليفة العباسى يأمره بالمعروف ،وينهاه عن المنكر ،فأغلظ له القول وقسا فى التعبير ،ولم يراع أن لكل مقام مقالا يناسبه ،وكان المأمون ذافقه فقال له : يا هذا ارفق فإن الله بعث من هو خير منك إلى فرعون ،هو شر منى وأوصاهما بقوله : " اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " ( طه ٤٣ - ٤٤ ) ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نرى فى هديه الرفق واللين .فالإسلام دين السماحة أضفى الله عليه يسرا وسهولة .وقامت الدعوة إليه على الحكمة واللين والبصيرة والموعظة الحسنة ،وبالكلمة الطيبة التى تدل على سعة الصدر ،وسعة الأفق .

هذا هو الإسلام ،يرفض العصبية ،ولا يرضى أن تكون مسلكا من مسالك الناس ويحث على الرفق ،فالتعامل الحسن يهدى للتى هى أقوم ،ويجعل اللين فى الأعصاب والرفق فى القلوب ، قال صلى الله عليه وسلم : " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " .

فالإسلام منهجه الصراحة والوضوح ،والأمن والاستقرار ،والصدق والإخلاص والبر والوفاء ،والمروءة والكرم . فالمسلم يتحلى بالتسامح وبخلق الرحمة ،ويتخذ ذلك منهاجا يحقق به الخير لنفسه ولأمته وللمجتمع الإنسانى كله .

وقد دعت سماحة الإسلام إلى كثريين بالتقرب من هذا الدين السمح ،ومن مدارسة القرآن الكريم ،فنرى مثلا الشاعر الألمانى " جوتة " بلغ حبه للشرق الإسلامى ،وللنبى محمد صلى الله عليه وسلم ،مبلغا حمله على قراءة القرآن الكريم

فى ترجمة ألمانية،أنجزها عام ١٧٧٢ أحد أبناء ألمانيا المستشرق العلامة " مرجرلين " ثم عكف جوته من بعدها على تلاوة القرآن فى ترجمة لاتينية سابقة لها طبعها فى مدينة بادوا " فى الشمال الشرقى من إيطاليا " القس الجزويتى " ماساتش " عام ١٦٩٨ وأعيد طبعها عام ١٧٢١ بمدينة ليبزج الألمانية .

واقتبس جوته من القرآن عن الترجمة الألمانية بعض الآيات التى تأثر بها شديدا ،ومنها قوله تعالى : " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون "والآية سبق أن استشهدنا بها . ومنها : " ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم " ومنها : " إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " وغير ذلك من آيات كثيرة وقد ظل جوتة طويلا يمعن فى دراسة القرآن إمعان الباحثين،وهو يقول : " إن القارئ الأجنبى ينجذب إليه ،ثم يروعه ويلزمه الإكبار والتعظيم .

ويستشهد جوتة فى كلامه عن القرآن الكريم ،وما جاء به من تعاليم الدين بهذه الآيات : " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعل سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " . ويقول جوتة " إن القرآن يريد قواعد هذه التعاليم ،ويكرر البشير والنذير سورة بعد سورة " ولا يرى جوتة فى هذا التكرار ما يراه النقاد الغربيون ،لأن محمدا صلى الله عليه وسلم ،لم يرسل برسالة شاعر للتغنى فى القول ،والتنويع فى ضروب الكلام ،وعرض الصور المزوقة من

الأخيلة والأوهام ،لاستحداث اللذة ،وإدخال الطرب .بل هو نبض القرآن بعيد عن هذا الوصف ...

وإنما محمد "نبى " مرسل لفرض مقدر مرسوم يتوخى إليه أبسط وسيلة وأقوم طريق ... وهذا الفرض هو إعلان الشريعة .وجمع الأمم حولها ،لينضموا تحت لوائها ... فالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ،إنما بعث به إلى الناس ليؤمنوا ويهتدوا.

ويظهر فى شعر جوتة الذى أسماه " الديوان الشرقى للمؤلف الغربى " تأثره بالقرآن فى روحه وعباراته ... فالقارئ المسلم لايسعه إلا أن يذكر من الآيات القرآنية أكثر من واحدة حين يقرأ المقطوعة التالية لجوتة :

" لله المشرق ولله المغرب " ... وفى راحتيه الشمال والجنوب جميعا ... هو الحق ... وما يشاء بعباده فهو الحق سبحانه ،لله الأسماء الحسنى ،وتبارك اسمه الحق ،وتعالى علوا كبيرا ،آمين . " وينازعنى وسواس الفى ... وأنت المعيذ من شر الوسواس الخناس .. فاللهم اهدنى فى الأعمال والنيات إلى الصراط المستقيم .

" ومهما زينت النزعات والشهوات ... فالنفس لا تذهب شعاعا ولا تضيع ضياعا .. ولا تلبث بما أودع فيها من الحفاظ والإباء ... أن تنطلق عارجة إلى أوج العلاء "

" والناس فى ترديد أنفاسهم آيتان من الشهيق والزفير : هذا يفعم ،وهذا يفرج عنه ... كذلك الحياة هى عجيب التركيب ... فاشكر ربك إذا بليت ... واذكر ربك إذا عوفيت "

ويقول جوتة فى بعض أشعار الحكمة من ديوانه :" ومن حماقة الإنسان فى دنياه أن يتعصب كل منا لما يراه ... وإذا كان الإسلام معناه التسليم لله ،فإننا أجمعين نحيا ونموت مسلمين " ولا غرابه إذا ما انعقد عزم الشاعر الألمانى على تأليف رواية عن محمد ،وشروعه فيها منذ عام ١٧٧٣ ، إذ نظم منها ذلك العام فاتحة الفصل الأول " مناجاة محمد " وهو فتى ،وقد خلا بنفسه فى الليل بعيدا عن البادية تحت سماء

صافية سافرة النجوم ... وقد اعتمد الشاعر فى المناجاة على مضمون هذه الآيات من سورة الأنعام فى دحض الشرك : " وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكو نن من القوم الضاليين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قومى إنى برئ مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ( الأنعام ٧٤ - ٧٩ ) .

وختم الشاعر مناجاة النبى بقوله :

" فارتفع أيها القلب العامر بالحب نحو الخالق .

إنـــــك وحـــدك مـــــولاى يا رب .

إنـــــك المحيــط بكـــــل شئ .

خالـــق الشمـــس والقمـــر والكواكب .

خالـــق السمـــاء الأرض وخالـق نفسى.

وإننا لنرى الإسلام يأخذ فى الانتشار لسماحته ،فمثلا يقدر عدد المسلمين فى اليابان بـ ٣٠٠ ألف مسلم من الهند والصين والأتراك والعرب واليابانيين ،وهناك إقبال كبير على دخول الإسلام بين النساء والشباب فى اليابان . يقول الدكتور صالح السامرائى ، رئيس المركز الإسلامى فى اليابان إن وجود المسلمين فى اليابان بدأ. قبل مائة عام ،وينتشرون حاليا فى جميع أنحاء البلاد التى فيها أكثر من مائة جمعية ومنظمة إسلامية ،والدول العربية والإسلامية التى تساعد المسلمين فى اليابان هى مصر والسعودية من خلال الأزهر ،وجامعة الإمام محمد التى لها معهد فى طوكيو . وذكر أن علاقة المسلمين بغيرهم طيبة وجيدة ،والشعب اليابانى متسامح تجاه الاختلاف الدينى .وأن المركز الإسلامى ينظم محاضرات دينية ويوزع كتبا إسلامية

باللغة اليابانية للدعوة ،ونشر الثقافة الإسلامية . وللمركز علاقات جيدة مع وسائل الإعلام اليابانية ، وللمركز موقع على الانترنت لتقديم المعلومات عن الإسلام ،وقد تحققت نتائج طيبة للدعوة ،وسيصدر المركز أول تفسير للقرآن الكريم باللغة اليابانية ولديهم ترجمة باليابانية لصحيح البخاري ،وستفتح في طوكيو أول مدرسة إسلامية.

وقد أظهرت دراسة نشرت في أمريكا أخيرا أن أعداد المسلمين تتزايد بصورة مطردة وسريعة في الولايات المتحدة ،كما أظهرت الدراسة أن نسبة التعليم بين أفراد الجالية المسلمة تفوق نسبة التعليم بين أقرانهم من البيض ،وأن أعداد المسلمين في أمريكا تنمو بشكل متزايد فبين عامي ١٩٩٠ / ٢٠٠٠ زاد عدد السكان المسلمين بنسبة ٤٠ ٪ وكشفت الدراسة أيضا عن أن الجالية المسلمة أكثر ترابطا فيما بينها من الأقليات الأكثر عددا ،ويتمركز المسلمون في مناطق معينة من المدن الكبيرة ،وهم عادة يشكلون أقلية متميزة في الأحياء التي يقطنونها .

وفي أوغندا أعلن ٥١٤ شخصا إسلامهم في عدة مناطق ،ودخل سكان قرية بأكملها في الإسلام ،وأن نحو ١٥٢ شخصا أشهروا إسلامهم في رواندا .

إن العلاقة بين الأديان علاقة تسامح وتعايش،فإذا نظرنا إلى الإسلام وجدناه دينا لا يمكن أن يفرق بين شرق وغرب ، لأن كله جزء من ملكوت الله،سماحة وجود وكرم وسهولة ويسر في الأديان ( ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ) .

يؤمن المسلمون بأن البشرية كلها أسرة واحدة ،تنتمي إلى رب واحد يهودا كانوا أو مسيحيين ،جميعا ينتمون بعلاقة النبوة لأب واحد هو آدم عليه السلام ،وقد أضاف العصر الحديث بما شهده من ثورة للاتصالات مفاهيم أكثر للتقارب والتعارف فأصبح العالم كله قرية صغيرة ... ويذكرنا القرآن الكريم بهذا ( وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ) والعلاقة بين الأديان علاقة قديمة لأنها كلها تدعو إلى السماحة،وإن لم تخل من صراع أزلي بدأ عصره منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم ،حيث كانت الدعوة الإسلامية بطبيقها دعوة عالمية ،واجهت صعابا من أقوام مختلفة بدءا

بالاستنكار ،وقتل الدعاة ،ومع ذلك ظل الإسلام ثلاثة عشر عاما لم يرفع سيفه .وظل يسالم الناس جميعا في سماحة ولين ويسر ،مما زاد من إيفاد البعثات من الشباب على اختلافهم لجامعات المسلمين في صقلية والأندلس ،لينهلوا من الحضارة الإسلامية وعلمائها من أمثال : جابر بن حيان - الفارابي - الرازي - وكان من روعة الحضارة الإسلامية أنها لم تشهد صراعا بين العلم والدين ،فكان العلم وسيلة تقرب إلى الله والدين مدخلا للعلم ومؤكدا له ،ولذا وجدنا كثيرا من علماء الطبيعة والكون فقهاء وعلماء دين أيضا مثل: ابن رشد وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى وهو من فقهاء الشافعية.وكان شعار المسلمين دائما بعد انتصاراتهم هو السماح والعفو ،ومع أن المسلمين توسعوا شرقا وغربا وحكموا بلادا كثيرة ،إلا أنهم لم يستأصلوا شعبا ولا عرقا ،بل قدموا روح التعاون والتسامح ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ).

وتتمتع الأقلية المسلمة في تايلاند التي تشكل نسبة ٥ ٪ من جملة السكان البالغ عددهم حوالي ٦٢ مليون نسمة ،بكافة حقوقهم الديموقراطية ،ويشاركون في الانتخابات والحياة السياسية ،والسلطتين التشريعية والتنفيذية ،وذلك لأن الإسلام دين تسامح ،وما يحظى به المسلمون في هذه البلدان من تسامح يعيشونه دليل على السماحة في الأديان .

وليس من شك في أن لهذه السماحة دورا كبيرا في التنمية الاقتصادية فهي تعمل على رواج السلع ،والتجارة ،والبيع والشراء بين الأفراد ،وتعاملاتهم المالية.

وأكد الدكتور تيكالاينا رئيس اتحاد الصحفيين الفنلنديين أن المسلمين في فنلندا يتركزون في هلسنكي ،وأن المسلمين يمارسون شعائرهم بكل حرية،وأن الديانه الإسلامية هي الثانية في فنلندا ،حيث يمثل المسلمون ٤ ٪ من عدد السكان وأضاف : إن المسلمين الذين وفدوا إلى فنلندا هذا العام ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ م قرابة ثلاثة آلاف مسلم ،وأن المساجد في فنلندا تبلغ ٣٠٠ مسجدا ،ويوجد ٣ مدارس

إسلامية خاصة بتعليم أبناء المسلمين ،وهناك مركزان إسلاميان ،أحدهما في هلسكي . وعن أحقية العمل للمسلمين في المؤسسات الحكومية في فنلندا ،قال : نحن في فنلندا نختار أفضل العناصر للعمل في أي مؤسسة ولا ينظر إلى الدين في ذلك ،فعلى سبيل المثال اتحاد الصحفيين الفنلنديين يضم عضوية ١٢ ألف صحفي،منهم ألف مسلم ،هم من أفضل العناصر في العمل الصحفي ،وعدد منهم يصدرون صحيفة إسلامية متخصصة وهي أفضل الصحف ،ويقرؤها المسلم وغيره ويشكل المسلمون في منغوليا ٧ ٪ من السكان الذين يصل عددهم إلى ٢,٤ مليون نسمة،وفيها الآن ٢٦ مسجدا بنيت خلال ١٢ سنة كما أقيمت مدرسة العلوم الإسلامية بتشينج يانج بتمويل الدولة بلغ ٣٧,٢ مليون يوان بهدف تدريب الأئمة في المساجد بتشينج يانج في دورات مكثفة بدأت التدريب الرسمي عام ٢٠٠١ وتتميز بنايات المدرسة بالأسلوب المعماري الإسلامي توجد في بتشينج يانج ١٠ قوميات مسلمة تعداد سكانها ١٠ ملايين،يحتلون على أكثر من نصف إجمالي تعداد السكان في تشينج يانج هناك أكثر من ٢٣ ألف مسجد ونحو ٣٠ ألف رجل دين ،وأكد مدير المدرسة ،أن المدرسة تقيم ١٠ دورات تدريبية سنويا يتدرب ٢٠٠ إمام في كل دورة،دورة واحدة تستخدم اللغة الصينية ،بينما تستخدم الدورات التسع الأخرى اللغة الويغورية ،وتشمل موضوعات التدريب العلوم الدينية ،والسياسة والثقافة ،يرغب أئمة كل المساجد في تشينج يانج في هذا التدريب ( عن أهرام الجمعة ٦ من رجب ١٤٢٣ هـ ١٣ من سبتمبر ٢٠٠٢ م .

وتتميز نيجيريا بتركيز المسلمين ،فعلى حين يبلغ تعداد سكانها نحو ١٢٠ مليون نسمة ٦٠ ٪ منهم مسلمون ،وتصل النسبة إلى ٩٠ ٪ في المنطقة الشمالية،وتنتمي معظم القيادات الحاكمة في نيجيريا إلى هذه المنطقة .وهم يتولون أعلى المناصب السياسية والإدارية ،ولديهم قدرات اقتصادية وتجارية

كبيرة،والعلاقات بين المسلمين والمسيحيين يسودها الوئام ،وهناك تأكيد على روح التسامح الديني .

وتشهد أثيوبيا إقبالا متزايدا على اعتناق الإسلام بسبب سهولة تعاليمه ،ومزاياه التشريعية ،وقد انتشرت المساجد في أحد عشر إقليما بأثيوبيا ،مما كان له الأثر الكبير في زيادة عدد المسلمين إلى ما يفوق ٥٠ ٪ من السكان.

ويقدر عدد المسلمين في اليابان بنحو ٢٠٠ ألف مسلم ،بينهم أشخاص غير يابانيين وتعتبر مدينة " كوبيه " أحد الموانئ المهمة في غرب اليابان ،وهي كلمة تعني " بوابة الله " وشهدت المدينة بناء أول مسجد للمسلمين في اليابان ،وأصبحت "كوبيه " كعبة العرب والمسلمين في اليابان.

وتعتبر جمعية نهضة العلماء من أكبر المنظمات الإسلامية في إندونيسيا وهي تسعى لنشر الاعتدال والوسطية بين الشعب الأندونيسي ،ويتبع الجمعية ٤٠ مليون عضوا ،وتعمل الجمعية على نشر فكر التسامح بين الجيل الجديد الذي يتجه نحو الاستفادة من العلوم الحديثة والثقافية العالمية ووسائل الاتصال الجديدة ،وقد تأسست جمعية نهضة العلماء عام ١٩٢٦ م ،وتطورت على مر الأعوام واستجابت للاحتياجات والتطورات في البلاد والعالم ،وهذه الجمعية مع جمعية المحمدية وهي ثاني أكبر جمعية في أندونيسيا تترأسان حملة وطنية لنشر السلام والتسامح بين أتباع الأديان المختلفة ،وأقام قادتهما علاقات تعاون وتفاهم مع قادة دينيين من أتباع الديانات الأخرى.



# الفصل الرابع

# الأديان السماوية



## الكتب السماوية : قال تعالى

" فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " إن الدين فى أصله واحد ،وكتب الله كلها تدعو إلى العقائد القويمة ،وإلى الإيمان بجميع الرسل على السواء . وقد تكرر الوعد فى هذه الآية بتهيئة جو من السعادة والراحة ،ولا عجب فهو الذى أطعم من جوع وآمن من خوف ،وقد جاء الترتيب فى الآية ٦٢ من سورة البقرة على غير هذا الترتيب فى الآية ٦٩ من سورة المائدة .ففى الأولى ذكر الله الذين آمنوا ثم الذين هادوا ( اليهود ) ثم النصارى ثم الصابئين ،أما فى الثانية فقد ذكر الذين آمنوا ثم الذين هادوا ثم الصابئيين وبعد ذلك النصارى.ومن هذا يتبين لنا أنه لا فرق بينهم تحت مظلة الإيمان التى بدأ بها وجعله المأمن لهم فى الدنيا والآخرة ،فلو آمنوا واتقوا ،وشهدوا بالصدق ،لأدخلهم الله فى رحمته ،وعملوا بالتوراة والإنجيل وما أنزل من ربهم بوساطة رسله وأنبيائه من القيام على الصراط المستقيم ،والتحلى بالسماحة والخلق القويم ،والعمل على إعلاء كلمة الحق ،ونشر الفضيلة بين الخلق ،لكان لذلك أثره فى التنمية ،ولوسع الله عليهم رزقهم ،وأفاض عليهم من بركات السماء والأرض فسهلت عليهم أسباب المعيشة،وتيسرت لهم وسائل الحياة .يقول الله تعالى : "ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم " ( المائدة ٦٦ ) .

هل يتصور أحد منا ما يمكن أن يكون فى دلالة قوله : لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ؟ رزق من كل مكان ،وأمن وطمأنينة فى كل مكان وزمان ،وشئ يسير سهل يكفل لنا هذه الوثيقة .. إنه الإيمان والعمل بما جاء فى التوراة والإنجيل والقرآن ،يقول الله تبارك وتعالى : " قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة الإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم " ( المائدة ٦٨ ) . فأنتم لستم على دين

صحيح حتى تعلموا بالتوراة والإنجيل،وما أنزل على رسل الله وأنبيائه ،فالتوراة والإنجيل مصدران من مصادر الإيمان ،فكيف لا يكون لهذه الأديان سماحة،وهى أصلا لا تدعو إلى إليها وبها ويذكر الله تبارك وتعالى سيدنا عيسى عليه السلام ابن مريم البتول ،بنعمته عليه وعلى والداته إذ أيده بروح القدس،يكلم الناس فى المهد وكهلا ،وإذ علمه الكتاب والحكمة،والتوراة والإنجيل ،ويقول عز من قائل :" وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين "( المائدة ٤٦ ) الإنجيل فيه هدى ونور والتوراة فيها هدى ونور ،والقرآن فيه هدى ونور .. هداية للمستهدين،ونور للسالكين ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ،ولكنة جاء بشرائع مختلفة مناسبة للعصور التى نزلت فيها ليختبر خلقة.

من أجل ذلك لابد أن نحكم بما جاء فى هذه الكتب ،وتلك الشرائع ،والله تعالى يقول : " وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه " ( ٤٧ - المائدة ).فإذا حكم النصارى بما أنزل الله فى الإنجيل ،فلن يكون إلا بمثل ما يحكم به اليهود والمسلمون وكتبهم التوراة والقرآن ،وأى جنس من الكتاب السماوى،فالحكم بما أنزل الله ،والاتباع لما أمر به وما نهى عنه ،فإليه المرد جميعا ،فكل كتاب سماوى يهدى إلى الهدى ،وإلى النور : " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " ( المائدة ٤٤ ) التوراة فيها هداية إلى الحق ،ونور يكشف ما اشتبه من الأحكام يحكم بها الأنبياء ويحكم بها العلماء والحكماء ،بسبب أمر الله إياهم بحفظ كتابه . ففى التوراة حكم الله : " وعندهم التوراة فيها حكم الله ( المائدة ٤٣ ) والله يفصل بين الناس ،ويعدل فى قضائه بينهم يوم القيامة . فهو القائل سبحانه : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد ( الحج ١٧ ) ونلاحظ فى هذه

الآية ذكر المجوس والذين أشركوا مع الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ،وهذا ما لم نجده فى الآيات من سورة البقرة وسورة المائدة التى استشهدنا بها فى ترتيب الطوائف التى أثبتتها الآيات ،أما الصابئون فقيل إنهم قوم يعبدون الملائكة ويقرأن الزبور ،وقيل هم الخارجون من دين كانوا عليه إلى آخر غيره ، وهذا أصله فى كلام العرب ،وقيل هم قوم ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى

إن علاقة مصر بالأديان السماوية علاقة قديمة قدم التاريخ ،وترجع جذورها إلى إبراهيم عليه السلام،الذى تزوج السيدة هاجر المصرية ،مرورا بموسى عليه السلام الذى ولد وتربى على أرض مصر ،وسيدنا يوسف عليه السلام الذى تولى شئون خزائن مصر ،والذى استقبل أبوية على أرض مصر قائلا لهما : " ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين " كما استقبلت مصر السيدة مريم التى قدمت إلى مصر مع وليدها السيد المسيح هربا من اضطهاد الرومان وكان الإسلام آخر حلقة فى هذه السلسة الطويلة من الأديان التى عرفتها مصر حيث تزوج محمد عليه السلام من مارية القبطية ،وبذلك تفاعلت مصر مع كل الأديان ،وجعل هذا التفاعل من مصر واحة للأمن والأمان والوسطية والاعتدال ،ولا تزال هذه الروح تسود العلاقة بين اتباع الأديان السماوية فى مصر.

وتأتى أهمية حوار الأديان ،وحوار الحضارات من أجل التوصل إلى فهم مشترك يقضى على الكثير من الأحكام المسبقة ،والمفاهيم المغلوطة على جميع الجوانب ،الأمر الذى يؤدى إلى المزيد من التعاون فى كل ما من شأنه أن يعود بالخير على البشرية كلها ،ويقضى على التعصب ويدعو للسلام .

ولبيان ما للكتب السماوية من قيمة وأهمية ،نورد الآيات التى بينت مكانتها ووظائفها ،فالحق يقول :"نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان "( آل عمران ٣ ٤ ) فالقرآن مصدق لما كان قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله ،والكتاب فى الآية

هو القرآن .والتـوراة والإنجيل فيهما هدى للناس،والفرقان أى الفصل بين النبى صلى الله عليه وسلم ،والذين حاجوه فى أمر عيسى بالحجـة البالغة،وقد كرر القرآن وذكره تعظيما لشأنه ،وإظهار الفضله وفضلـه لا يقل شأنا عن فضل التـوراة والإنجيل .وما أنزله الله من كتب سماوية أخرى فمحمد علمه الله القرآن :"لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه " ( القيامة ١٦ ) وعلم عيسى الكتابة والحكمة والتـوراة والإنجيل : " ويعلمه الكتاب والحكمة والتـوراة والإنجيل " ( آل عمـران ٤٨ ) وقـد حمل آيات ربه إلى قومة مبينا لهم آية صدقه حتى يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا : "ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون " ( آل عمران ٥٠ ) "يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون " ( آل عمران ٦٥ ) تجادل اليهود والنصارى فى ديانة إبراهيم،أكان يهوديا أم نصرانيا ،رغم أن هذه الأديان حدثت من بعده بقرون كثيرة فكيف يكون يهوديا أو نصرانيا ،إنهم يجادلون فيما ليس لهم به علم مما ورد فى التوراة والإنجيل.ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ،أى منقادا إلى الله ،مائلا عن العقائد الزائفة.

وقد حملت الكتب السماوية كل التعاليم السمحة ،وبينت لأقوامهم النهج القويم لحياة آمنة مستقرة ،وأخذ رسلهم على عاتقهم الدعوة إلى ما يحقق خير البشرية .وبيان ما يحل لهم وما لا يحل ،والحلال لا يكلف مثل ما يكلفه الحرام ويقول الله تبارك وتعالى :"الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون " ( الأعراف ١٥٧ )

ولم يهمل القرآن الكريم ذكر التوراة والإنجيل .ومساواتهما فى الأوامر والنواهى بما نادى به الإسلام ،يقول الله تعالى : " إن الله اشترى من المؤمنين

أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " ( التوبة ١١١ ) يذكر الله أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم مقابل الجنة . وقد جاء في التوراة والإنجيل وصف للمؤمنين تراهم راكعين ساجدين ،يطلبون فضلا من ربهم ورضوانا ،مثلهم كزرع أخرج فراخه فقواه فاستحال من الدقة إلى الغلظة ،فاستقام على سوقه يستدعى إعجاب الزراع به ليغيظ الله بهم الكفار ،وعد الله الذين كانت هذه صفاتهم مغفرة وأجرا عظيما ،يقول تعالى : "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما " ( الفتح ٢٩ ) هكذا بلغ الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الأوصاف ،وجعله إماما وهاديا ومبشرا ونذيرا ،وذكرته الكتب السابقة ،فقال تعالى :" وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " ( الصف ٦ ) فالذين كلفوا العمل بالتوراة ،والقيام على صراطها ، ولم يرفعوا بذلك رأسا ،ولم يقوموا بما عهد إليهم من ذلك ... كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا ينقلها من مكان إلى مكان ،وهو لا يدرى ما فيها من كنوز المعارف ومعين الحياة : " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين " ( الجمعة ٥ )

لقد اتخذ الله نوحا وإبراهيم رسولين في ذريتهما النبوة والكتب السماوية فمنهم ،مهتد ،وكثير منهم فاسقون ،ثم أتبعهم برسل ،وأعقبهم بعيسى بن مريم ،آتاه الإنجيل وجعل في قلوب أتباعه رأفة ورحمة - هذه الرأفة والرحمة من السماحة في

دينهم - يقول تعالى : "ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة " ( الحديد ٢٧ ).

ومما تقدم يمكن أن نقف على السماحة فى الأديان الثلاثة ،ففى جوهرها يمكن العطاء من أجل خير البشرية جمعاء ،والليونة فى العلاقات بين بنى آدم جميعا،ومن غير شك لهذه السماحة دور فعال وواضح فى التنمية،وفى الاقتصاد كما أوضحت ذلك فيما سبق ،وقد تعرضت لهذه الديانات الثلاثة من منطلق السماحة فيها مشيرا إلى الآيات القرآنية التى تساوى بينها فى إقامة الأسس التى يرتكز عليها الأفراد لتنشئة مجتمع يسوده الود والحب فى ظل السماحة ،فالكل يأتى الله منقادا طائعا مستسلما ،وهذا ما نصت عليه كل الكتب السماوية ،والأديان المختلفة ،والأحاديث النبوية التى تشير إلى ذلك ،من مثل ما جاءنا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المسلمين خير ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده "

ويشهد المجتمع نشاطا ملحوظا فى الاقتصاد ،يرجع إلى أنه قد أصبح هناك وعى بالأديان ومفهومها ،فدخل الناس فى معاملاتهم بفكر جديد ،ونظرة ثاقبة عميقة فى محاولة للتقرب بين مفاهيمهم ،فكانت النوايا الحسنة ،والسماحة التى ضربت على أيدى المتشددين المتعصبين ،فالمنهج واحد ،والدعوة وسيلة لرأب الصدع،وتحذير مما قد يقع فيه الفرد من خطأ أو غضب ليجنبه ومجتمعه أثر هذه الأخطاء معتمدا فى ذلك على السماحة ،فلا ينفعل ولا يغضب فليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يتمالك نفسه عند الغضب . وإذا غضب أحد فليجلس ،أو يضطجع أو يقم فيتوضأ ،لأن الإنسان مكون من روح وجسد ونفس ،والغضب جمرة ،كظم الغيظ من الإيمان ،فإذا عفا وأحسن ،فقد وصل إلى درجة الإحسان : " ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم " ( فصلت ٣٤ - ٣٥ ).

## عولمة الحياة الإنسانية :

عقدت لقاءات ومؤتمرات ،وندوات ،ومناقشات باشتراك ممثلى ديانات وعقائد مختلفة،كما ترافق ذلك بظهور عدد من المؤسسات والهيئات الدينية ومجموعات عمل أخذت على عاتقها المساعدة على تطوير الاتصالات بين الديانات المختلفة ،وتعميق التفاهم المتبادل بين أتباعها،فساحة الأديان أصبحت بحق إحدى السمات المميزة للعصر الحالى ،ومن ثم فهى تعمل على تنمية العلاقات القومية والثقافية باطراد وتوسع بصورة لا مثيل لها من قبل ،ويجذب فئات وشرائح عريضة من المؤمنين - سواء بإرادتها أو بغير إرادتها - حيث يزداد وعيها وإدراكها لأهمية هذه السماحة ،لاسيما فى سياق التطور الاجتماعى - الثقافى للعالم المعاصر.

إن عولمة الحياة الإنسانية المعاصرة،تشكل فى الواقع إحدى السمات الكبرى لعصرنا الحاضر فالنمو المتصاعد للثقل النوعى للبلدان النامية فى الاقتصاد العالمى وفى السياسة الدولية،ونهضتها الثقافية - التجديدية ( سواء المرتبطة بتعرفها خصائص الثقافة العالمية وقيمها ،أو تنشيط التراث الثقافى التقليدى لهذه البلدان وإحيائه مجددا ) والتأثيرات المتسارعة لمنجزات الثورة العلمية - التقنية ،وعمليات الهجرة إلى قارات ومجتمعات أخرى ،وتطور وسائل المعلومات والاتصال الجماهيرى ،والسياحة العامة ،كل هذه المعطيات غيرت وجه العالم ،وغيرت رؤية الناس وإدراكهم لهذا العالم الجديد أيضا .

وبالإضافة إلى ذلك،فإن تطور العلم الذى أسهمت فيه العلوم الإنسانية إسهاما كبيرا ،أغنى كثيرا الرصيد العقلى للإنسانية جمعاء ،بحيث ساعد بدوره على تكون نمط جديد من التفكير ،وظهور أساليب وطرائق متجددة - مبدعة فى دراسة الكون ومشكلاته العامة من زاوية إنسانية شمولية ،بحيث يعاد تشكيل اللوحة العالمية من منظور وحدة التاريخ العالمى ،والتطور الثقافى - الحضارى للإنسانية بأكملها.

ففى نهاية العصر القديم .وفى القرون الوسطى يمكننا أن نتتبع فى المسيحية التأثيرات المتبادلة بين النزعات الداعية إلى التنسيق ( مع الأديان الأخرى) والنزعات الشمولية التى ترى أنه يتوجب على المسيحية أن تستوعب الثقافات ،وحتى الديانات الأخرى وتضمها تحت جناحيها ،وضمن أطرها العقائدية . وإننا لواجدون عند كبار المفكرين المسيحيين بدءا من أوغسطين ،وانتهاء بتوما الأكوينى فكرة عامة ملازمة تقول : إن تطور الإنسانية يجب أن يفضى حتما إلى ملكوت المسيح ،وهو تطور يجب أن يستوعب فى داخله العالم كله،وفى الوقت ذاته " ... فإن ملكنا على حق ،أما غير المسيحيين فهم ليسوا على حق ".

أما فى العصر الحديث ،فإن الفكر الفلسفى الأوربى الذى تطور فى أغلبيته كنقيض للمسيحية ،لم يتحرر من ازدواجية الرؤية ،التى تتجلى فى نزعتى "الشمولية "و"التفوق الثقافى " أو الحضارى.

إن عولمة الحياة الاجتماعية تدحض فى واقع الأمر أى تصورات وهمية حول الثقافة" الخاصة " المضادة " للاثقافة الآخرين " ففى عصر تتعاظم فيه أكثر فأكثر التفاعلات الاقتصادية ،الاجتماعية ،والمعلوماتية بين الشعوب ،فإن مسألة وحدة الإنسانية فى تلاوينها المختلفة وأشكالها المتعددة .وبكل خبراتها الثقافية - التاريخية تتطلب ليس حلولا نظرية فحسب ،بل حلولا عملية - واقعية أيضا . والحضارة الكونية (العالمية الناشئة فى عصرنا الحاضر ،والتى تتميز خصوصا بالتعددية العقائدية (دينيا وسياسيا وفكريا وفلسفيا ) تضع الناس أمام حقيقة ساطعة ،تتمثل فى ضرورة البحث عن مؤسسات وهيئات جديدة ،من أجل التقارب والاتفاق والتفاهم المتبادل .

لقد أصبح المجتمع البشرى فى هذا العصر "مسكنا واحدا " ولذلك فإن السماحة بين الأديان من شأنها أن تحدث بين الجماعات البشرية تآلفا وتسامحا وتعايشا ،يقود حتما إلى التنمية .ويمكن أن نستذكر فى هذا المجال رابطة " إخوان الصفا " التى أنشئت فى مصر عام ١٩٤١ م من مجموعة غير كبيرة من المثقفين

المسيحيين والمسلمين ،ووضعت نصب عينيها مهمة علمية بحتة ،والمؤتمر الإسلامى المسيحى ،الذى عقد فى إبريل عام ١٩٥٤ م فى لبنان ( بحمدون ) بتنظيم من " جمعية أصدقاء الشرق الأوسط " الأمريكية . فللعلاقات الإسلامية المسيحية دور خاص،فالمسيحيون والمسلمون على حد سواء ،كانوا يتصفون دائما بإدراكهم الرابطة الروحية المشتركة.

## لقاءات الأديان سلام :

لقد نمت العلاقة بين الديانتين المسيحية والإسلامية ،وتطورت على مدى أربعة عشر قرنا تقريبا ،من تجاورهما أو من وجودهما المشترك ،نمت وتطورت فى أربعة مجالات ومستويات أساسية : اقتصادية وعسكرية - سياسية وثقافية ودينية.

الإسلام من وجهة نظر المسيحية - الغربية يتسم بخلفية إشكالية لاهوتية عميقة . حيث ظهر فى أوائل القرن السابع للميلاد فى محيط تميز بتأثره الروحى بالتقاليد اليهودية - المسيحية ،مؤكدا من ناحية ،وعبر التوحيدية الإبراهيمية صلته المبدئية بتلك التقاليد الشرقية ( اليهودية - المسيحية ) ولكنه وضع نفسه من ناحية أخرى فى خندق مضاد متعارض تماما مع التقاليد الدينية المذكورة ،وذلك من تعميم مطلق غير محدود لهذا التوحيد ،ألغى فى حقيقة الأمر أى إمكان لتجسيد الطبيعة الإلهية مع نفى تام لفكرة الثالوث المسيحية ،وبذلك التوجه العقائدى حطم الإسلام النظام البنيوى - اللاهوتى ،الذى كان مهيمنا فى التصورات المسيحية ( لاسيما فى العصر الوسيط ) حول التكوين الإلهى للتاريخ ،وحول التقديس ،وتجسيد الإله ذاته . ولهذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعا من التحدى الدينى - التاريخى . وبصورة مغايرة ومتناقضة نظر الوعى الإسلامى إلى المسيحية أيضا ،إذ أن التصورات الإسلامية عن المسيحية واليهودية ،ومعايير السلوك الواجب على المسلم اتباعها إزاءهما رسمت حدودها فى القرآن وفى السنة .اللذين

يمثلان بالنسبة للمسلم أمرا لا يناقش ،وقد تشكلت هذه التصورات أساسا فى القرن الأول لظهور الإسلام ولم تتغير إلى الآن إلا بشكل طفيف وغير جوهرى .وقد يكون الشعور بالاختيار الإلهى الذى تشكل عند العرب - المسلمين الأوائل ،الذى غذاه وعيهم بتفوق دينهم ولغتهم هو الذى ساعدهم على القضاء علـى هيمنة الرؤية العقائدية المسيحية فى الشرق الأدنى ،حتى قبل أن يتمكنوا من إدراك جوهر هذه العقيدة .

كان المسلمون واثقين ،بصدق وإخلاص ،فى أنهم يعرفون المسيحية أفضل من المسيحيين ذاتهم ،حيث يعدون أن الأغلبية من هؤلاء المسيحيين ترددوا فى الضلال ولم يفهموا جوهرها ،فشوهوا بذلك تعاليم نبى الله عيسى ( يسوع ) .

هذه الفكرة التى تؤكد مسألة تحريف الرسالة السماوية من طرف اليهود والمسيحيين التى ركز عليها محمد فى مرحلة الدعوة بالمدينة ،وحصلت على الاعتراف والقبول والرسوخ فى عصر الخلافة ،أصبحت الوسيلة الدفاعية الفعالة ،التى سمحت بمقاومة إسلامية ناجحة لتأثيرات الموروثات والتقاليد الدينية الأكثر قدما فى المنطقة .ولكن فى الوقت نفسه يرى بعضهم أن هذا اليقين المطلق فى حقيقة المعرفة الممتلكة ، ساعده أن اللاهوتيين المسلمين فى أغلبيتهم المطلقة لم يحاولوا متابعة الوصول إلى تفهم العقيدة المسيحية ،حتى من باب الأساليب الدفاعية ،مكتفين بأخذ معارفهم العمومية من النص القرآنى حول المسيحية ،مع أن الإسلام قدم فى القرون الوسطى نماذج مهمة لمؤلفات عقائدية - تصنيفية وتحليلية للديانات والعقائد الأساسية فى ذلك الحين ،من أشهرها :

" مقالات الإسلاميين " لأبى الحسن ،و"الملل والنحل " للشهر ستانى ،وكتاب "الفصل فى الملل " لابن حزم الأندلسى ،وكتاب "الفرق بين الفرق " لأبى منصور البغدادى وغير ذلك من المصنفات ،التى تتضمن دراسات مقارنة بين الأديان والعقائد والمذاهب.وهذا يبين الموقف المتسامح من الإسلام للمسيحيين ،على

العكس من تصورهم من أنه كان يمثل تحديا تطلب ردا ومقاومة واهتماما دائما به ثم أخذ العالم الإسلامى يدخل تدريجيا فى مجال المصالح والاهتمامات الثقافية مع الديانات الأخرى ،وتشكلت اتصالات عالمية ،بل فى درجة معينة ،اتصال بين العقائد اليهودية - المسيحية والإسلامية.

وبحسب رأى ماسينيون ،فإن الإسلام جاء بمنزلة ضمير لليهودية والمسيحية وإن ظهوره فى العالم إن هو إلا " إنذار إلهى " يذكر اليهود ويحذرهم من عاقبة عدم اعترافهم بالمسيح رغم أنه ولد وعاش بينهم ،كما أنه يحذر المسيحيين من التوانى فى واجبهم " بتنوير المخلوقات كلها ،وقيامهم بهذا الدور كشعب مختار "

ولقد أولى ماسينيون ، أهمية كبيرة أيضا لدراسة المسائل اللاهوتية العامة ، التى تتسم بأهمية رمزية ، وتشكل محطات أساسية فى تاريخ العلاقات التفاعلية المتبادلة بين الإسلام والمسيحية ، مثل تبجيل مريم العذراء فى الإسلام والمسيحية ، وتأثير " المريمية " المسيحية فى إجلال فاطمة الزهراء ، وتقديسها عند المسلمين ، والتقديس الإسلامى -المسيحى ، لأهل الكهف السبعة ، الذين " ناموا فى كهفهم الواقع فى أفسس " ، ثلاثمائة وتسع سنين ، معاهدة نجران بين النبى محمد والنصارى ، البعثة السلمية لفرنسيس الأسيزى إلى الشرق الأدنى ، وخطبته العقائدية فى قصر السلطان المصرى : الملك الكامل " والملامح المشتركة بين الزهد المسيحى والإسلامى .

## لويس ماسينيون ،عالم فرنسى كبير

### وهناك لقاءات إسلامية - مسيحية بصورة مستمرة منها :

-فى ١٩٧٤ قام سكرتير ( أمين سر ) أمانة شئون الديانات غير المسيحية الكاردينال بينيدولى بزيارة للسعودية ،التقى خلالها الملك فهد . وفى العام نفسه زار القاهرة أيضا .فى أكتوبر من السنة ذاتها قام وفد من العلماء المسلمين ( من المملكة العربية

السعودية) برد الزيارة إلى الفاتيكان .فى ١٩٧٨ دعى الكاردينال بينيدولى إلى جامعة الأزهر .

-عقد مؤتمران عالميان ضخمان للإسلاميين والمسيحيين فى قرطبة فى ١٩٧٤ - ١٩٧٧ .

-تم تنظيم ملتقين عالميين بين المسلمين والمسيحيين فى تونس : خصص أولهما لدراسة مشكلات التطور المعاصر فى ١٩٧٤ ،وخصص ثانيهما لمناقشة مسائل " الوحى والتاريخ " و " الوحى ،العقل ،العلم "فى ١٩٧٩ .

-فى ١٩٧٦ عقدت فى طرابلس ( ليبيا ) حلقات بحث عالمية إسلامية - مسيحية صدرت فى ختامها وثيقتان حول - الأسس النظرية العامة للديانتين والميادين المختلفة للقاءاتهما " والأعمال الضرورية للقضاء على الخرافات وسوء التفاهم ،التى تجزئنا "

-فى ١٩٧٧ عقد فى ميدلينغ ( النمسا ) مؤتمر تحت عنوان " قضايا الإله فى الإسلام والمسيحية "

-فى ليشبونة ( البرتغال ) عقد مؤتمر للديانات التوحيدية الثلاث ،موضوعه "العالم المتغير - تحدى دياناتنا " فى ( ١٩٧٧ )

-فى عام ١٩٧٧ عقد لقاء مسيحى - إسلامى تشاورى تحت شعار " الإيمان - العلم - مستقبل البشرية "( مدينة بيروت )

-فى مدينة سالزبورغ ( النمسا ) عقدت فى ١٩٨٧ حلقة مناقشة تحت عنوان - " الكنيسة والمسلمون فى أوربا "

-فى ١٩٧٨ عقدت فى مدريد ( إسبانيا ) ندوة فكرية لمناقشة المشكلات ،المتعلقة بصياغة المعلومات الخاصة بتاريخ الإسلام والثقافة العربية الإسلامية فى المناهج والكتب المدرسية الأوربية للحلقة المتوسطة ( الإعدادية ).

-في ١٩٧٩ نظم ملتقى إسلامي - مسيحي في شانتليه ( فرنسا ) تحت عنوان - " الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر "

-في ١٩٧٩ - ١٩٨٠ عقد في استراليا ( ملبورن وكابنيره ) مؤتمران دوليان للمسيحيين والمسلمين في استراليا.

-في ١٩٧٩ نوقشت مشكلات الحوار الديني في الملتقى ،الذى نظمته فيدرالية الأساقفة الآسيويين في كوالا لامبور ( ماليزيا ).

-في ١٩٨٠ قام البابا يوحنا بولس الثاني بجولة في بعض البلدان الأفريقية ،التقى أثناءها ممثلي الجماعات الإسلامية في نيروبي ( كينيا ) وأكرا ( غانا ) وفي نفس الوقت زار باريس والتقى فيها وفدا من المسلمين .الذين يعيشون في فرنسا .وفي عام ١٩٨١ قام البابا بجولة في بلدان الشرق الأقصى ،حيث التقى أثناءها في مدينة مانيلا ( الفيليبين) ممثلي الأقليات المسلمة في جزر الفيليبين.

-أما في الشرق الأدنى فقد عقدت مؤتمرات إسلامية - مسيحية ضخمة في بيروت ( ١٩٧٢ - ١٩٨٠ ) وفي القدس ( ١٩٨٤ ).

-في زغرب ( يوغسلافيا ) عقد في ١٩٨١ مؤتمر الكنائس الأوربية لبحث موضوع " المناقشات اللاهوتية عن الإسلام في أوربا "

-في ١٩٨٢ عقد في كولومبو ( سريلانكا ) ملتقى عالمي لمناقشة "مشكلات العيش الإسلامي المسيحي المشترك"

-في ١٩٧٣ عقد في باليرمو ( إيطاليا ) مؤتمر عالمي إسلامي - مسيحي .وفي هذا العام وحده جرى سبعة عشر لقاء إسلاميا - مسيحيا على مستويات مختلفة.

-شهدت روما في ١٩٨٥ ملتقى فكريا للأديان تحت عنوان " القداسة في الإسلام والمسيحية " نظمه المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية ،كما عقد في مونبيليه ( فرنسا ) لقاء فكري آخر حول موضوع " الإله الواحد " اشترك فيه ممثلون عن الديانات التوحيدية الثلاث.

-في ١٩٨٥ وبدعوة من الملك الحسن الثاني .قام البابا يوحنا الثاني بزيارة إلى المغرب ،ألقى فيها كلمة أمام ثمانين ألفا من الشباب في الملعب الرياضي بالدار البيضاء.

-في ١٩٨٦ وبدعوة من البابا يوحنا بولس الثاني التقى في مدينة "أسيزى " ( إيطاليا) التي تحرر منها القديس الشهير فرنسيس الأسيزى ( مؤسس أخوية الفرنسيسكان ) علماء ومفكرون معروفون ،يمثلون ستين ديانة وعقيدة من أجل إقامة الصلاة المشتركة للسلام العالمي.

-في عقدى السبعينيات والثمانينيات نشطت الجمعيات الإسلامية - المسيحية بصورة واسعة ،مثل رابطة الصداقة الإسلامية - المسيحية " . مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية " مسيحية وإسلام " في أسبانيا ،الحلقة الثقافية " شرق المتوسط " في باليرمو ،"رابطة الكتاب الفرنكفونيين - المؤمنين " التي تعقد حلقة بحث يهودية - الإسلامية ، مسيحية إسلامية سنوية في فرنسا.

وتجرى الآن محاولات ومبادرات مختلفة لإيجاد قنوات ووسائل أكثر فعالية لانخراط المسيحيين في حياة المجتمعات وذلك مثلا عبر تكوين مشتركات مسيحية صغيرة ،وهي فكرة ظهرت أول مرة في أمريكا اللاتينية ،لكنها أعطيت تفسيرا خاصا من طرف المسيحيين ،الذين يعيشون في مجتمعات ذات أكثرية إسلامية وهم مجموعات يعرف أعضاؤها بعضهم البعض جيدا ،يعيشون مجتمعين ،ولا يضعون نصب أعينهم أي أهداف وغايات تبشيرية محددة . أما هدفهم الأساسي ،فإنه يتمثل في العيش ببساطة وسط مواطنيهم المسلمين ،دون ازدراء أي عمل وبالمقابل الالتزام الذاتي بتقديم المساعدة الطوعية لأولئك ،الذين يعيشون بين ظهرانيهم أو في أحيائهم ويحتاجون إلى هذه المساعدة الإنسانية .وفي الوقت نفسه يدرسون الإسلام والثقافة الإسلامية ،والفولكلور المحلي والشعر الديني .ومع الالتزام بتحاشي كل ما يشكل إهانة لمشاعر المسلمين الدينية والاستفزاز لمعتقداتهم وحياتهم السلوكية.

ويمكن مصادفة كثير من الألوان والاشكال الطريفة للتفاعل المتبادل بين الإسلام والمسيحية فى السنوات الأخيرة فى بعض البلدان الأفريقية . حيث انتشرت ظاهرة جديدة تتمثل فى النشاط المشترك للمبشرين المسيحيين ،والدعاة المسلمين وبدلا من الصراع التنافسى القديم بين الإسلام والمسيحيين من أجل كسب الأفارقة دينيا ،يجرى اتفاق وتعاون نسبيان .وهو اتجاه حدد معالمه الأفارقة أنفسهم.

وقد توصل عالم الأفريقيات ب . أولا إلى تنبؤات متفائلة ، مفادها " أن المبارزة بين الإسلام والمسيحية فى القارة الإفريقية تعود إلى ميدان الإشكاليات القديمة الصعبة ولكن بعد حصول عدة تغيرات فى علاقة هاتين العقيدتين ، أصبحت توجد كل الفرص ليس للتعايش وحسب ، وإنما للازدهار والرفعة جنبا إلى جنب "

*المونوفيزيون : ( الطبيعة الواحدة فى المسيح ) .

*النساطرة : يتركزون أساسا فى إيران والعراق .

## العقول المهاجرة :

وللأمة الإسلامية رصيد واسع من العلاقات الدولية ، لو استخدم استخداما جيدا لعاد عليها بالخير ، ولاستطاعت من خلاله أن تحقق أهدافها ، وأن تعرف المجتمعات التى تحيط بها ، وأن تعرفهم بنفسها خير تعريف فالديانة الإسلامية يعتنقها مليار شخص ...

وإذا كان المسلمون قد قادوا الجيوش فى الماضى ،واستفرغوا الجهد والوقت فى الفتوح ،فلم تكن لديهم فى ذلك الوقت وسائل أخرى لتعريف الناس بدعوتهم ،ولهداية الإنسانية إلى مراشدها قام " رسل " النبى صلى الله عليه وسلم بواجبهم فى بداية الرسالة ،ولكن الجيوش قامت بتبليغ الرسالة ،وهداية الناس إلى ما يحقق الخير لهم فى الدنيا والآخرة ،فلم يكن الجيش الإسلامى جيش احتلال

واستعباد .وإنما كان جيشا من الفقهاء والعلماء هدفه إخراج الناس من عبادة الأشخاص إلى عبادة الله ،ومن ضيق الدنيا والآخرة.

إن الحياة قد تغيرت ،والرسائل قد اختلفت وأصبح من الجيوش القوية الآن جيش الإعلام والكتاب والإنترنت والصحافة ،كلها تقوم بالأدوار التى كانت تقوم بها الجيوش فى الماضى ،وربما كان أثرها أكثر فاعلية فى تعليم الناس ببعضهم البعض وفى بث سبل التفاهم والمعرفة بين مختلف الألوان والأجناس.

ومن منطق السماحة فى الأديان ،بدأ المسلمون يرحلون إلى أوربا وأمريكا أكثرهم للإسهام فى تعمير ما خربته الحربان العالميتان فيها ،وأقلهم لطلب العلم والبحث عن سبل أفضل للحياة ،أو لوفرة الرزق وسبله فى هذه البلاد .وكانت هذه الرحلات ،بداية للتعرف على عالم أوسع ،ومجتمعات أكثر تقدما ،وظهرت الفجوة الواسعة بين الأساليب والوسائل التى يعيش عليها المسلمون فى بلادهم ،وتلك التى يعيش عليها العالم الغربى ،وصارت خطط التنمية المتكاملة التى توضع لبلادنا تسعى للحاق بالغرب ،والأخذ بالمنجزات العلمية المتسارعة التى سادت فى ربوعه.

ولم تهتم دولنا كثيرا - حتى الآن - بالاستفادة من العقول المهاجرة ،والتى هضم بعضها علوم الحضارة ،وأتقن التعامل مع معطياتها ،وأهلها وصار يكون أصلا من نسيج تقدمها ،لذا كانت اللقاءات بين الأهل من الشمال والجنوب ،أمرا واجبا ،وأمرا تلقائيا يتم بسبب سهولة الاتصال والانتقال التى هى أهم ما أنتجته الحضارة الغربية وكان التفكير فى ضرورة الارتقاء بالمجتمعات الإسلامية ،والتعريف بها والتعرف عليها وكان هذا ما فعله رجال من المسلمين،أساتذة من الجامعات ،وعاملون بحقول العلوم المختلفة ،وميادين العمل المتقدمة فى التجارة والصناعة والزراعة ،وتبادل المنافع والسلع والخدمات.

وقد قامت اتصالات مع جامعات أوربية وأمريكية من رابطة الجامعات الإسلامية .وكان من أقواها ما تم مع الجامعات الإيطالية وبالذات جامعة فلورنسا عن

طريق أحد علمائها من الطيور المصرية المهاجرة - الأستاذ الدكتور محمود سالم الشيخ - الذى يشغل منصب نائب رئيس الجامعة الآن ،وبعض الأساتذة المستشارين الذين اهتموا كثيرا بالدراسات الإسلامية،وأخرجوا أبحاثا متخصصة فى مختلف جوانبها ،وعلى رأسهم الأستاذ فرانشسكو كاسترو الأستاذ بجامعة " نور فرجانا" بروما والمعروف جيدا لدى الدوائر العلمية المصرية،وكان من نتيجة هذه الاتصالات عمل العديد من الاتفاقات التى نظمت تبادل الأساتذة ،والطلاب وتبادل المطبوعات والبحوث والدراسات المشتركة ،وكان من نتيجة ذلك هذه المجلدات الثلاثة التى تقدمها للعلماء والمثقفين فى مصر ،وفى العالم العربى الإسلامى،هذه المطبوعات باللغة الإنجليزية ،والتى تخصص جلسة فى مقر جامعة الأزهر ،رأس الجامعات الإسلامية وأهمها لمناقشة أحدها ،ونحن على وشك الطباعات العربية لها الآن ،وأن المجلدات الثلاثة تحوى خلاصة ما تم فى إيطاليا من بحث ودراسات ومناقشات لأمور تتصل كلها بالعلاقة بين الإسلام والغرب والأعمال العلمية المتكاملة التى نقدمها اليوم هى مجالات جادة لتعريف الغرب بالإسلام ،والحوار العلمى مع رموزه وأقطابه العلمية ،من خلال لمنهج العلمى ،ليقفوا على السماحة فى هذا الدين وعن مفاهيم حقوق الإنسان فى الإسلام ،وفى الفكر الأوربى الحديث من خلال الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان ،وعن قيم التعامل والتبادل الاقتصادى بين الشمال والجنوب ،وكيف يمكن أن تنجح ،وعن الدعائم التى تقوم عليها الأسرة فى الإسلام وعن مفهوم العدالة فى الفكر الإسلامى ،والفكر الغربى ،وعن النموذج الغربى فى وضع العلاقة بين الدين والدعوة ،وعن التكامل الاجتماعى بين المفاهيم الإسلامية والمفاهيم الغربية ،وعن مفهوم الحرية الدينية والتعليم ،وعن التصور الغربى عن الإسلام ،والتصور الإسلامى للمسيحية فى الفكر الحديث ،وعن نظرة المجمع المسكونى الثانى للمسلمين ،والتصور الذهنى للمسلمين فى العقل الأوربى الحديث وعن المسلمين والمسيحيين فى الثقافات المعاصرة .

وضع المسلمون العديد من الحقوق والمبادئ المرتبطة بها ،فالعدالة تنظم طائفة واسعة من الحقوق في الشريعة،وترتبط ارتبطا واسعا بمشاركة الناس في كل ما يمكن قسمته في المجتمع :

المال،والجاه،والشرف ،والعدالة ،وكذا في نظرية المساواة بين ما يعطى وما يؤخذ في المعاملات وتوضيح أسس الحرية في أصول الإسلام ،وتعددها بين حرية العقيدة "لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " وحرية الرأي والتعبير "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ،فإن لم يستطع فبلسانه ،فإن لم يستطع فبقلبه ،وذلك أضعف الإيمان " ولذا تختلف صور الحقوق المرتبطة بالمصالح الخمس التي حددتها الشريعة ،وهي تصلح لأن تكون نظرية للحقوق والحريات العامة بشكل عام وقد تضمنت حماية النفس وحماية الدين وحريته ،وحماية المال ،وحماية العرض وحماية النسل إن الإسهامات الإسلامية في استنباط الحقوق الرئيسية للإنسان في مختلف الحقوق ،تعتبر محل تقدير من جميع الطوائف.

وتقوم جميع الأديان السماوية على أصلين أساسيين هما : إخلاص العبادة لله .والالتزام والتحلي بمكارم الأخلاق ،فجميع الرسل أرسلوا للناس لدعوتهم إلى عبادة الله ،ووجوب التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ،ومعالجة الأمور بأسلوب وعقل سديد ،ومن الحكم التي أوجد الله الناس من أجلها هي التعارف والتعاون على البر والتقوى ،فكل ذلك يؤدي إلى ازدهار الحضارات بين الأمم فالحضارات تتآزر وتتواصل وتتكاتف ،وكلما طبقنا ذلك نمت وازدهرت الحضارة مهما اختلفت الأديان والعقائد ..

ويوضح قداسة البابا شنودة الثالث أن الإسلام والمسيحية ديانتان عالميتان تسعيان إلى كل البشر ،ولا تقومان على العنصرية ،والانغلاق،كذلك تسلط الدعوة الإسلامية الأضواء على أهمية نداء القرآن للتعايش بين الديانات في وفاق على حكمة واحدة .

# الفصل الخامس

# الاقتصاد الدينى سلام



## الاقتصاد الديني سلام :

ينهج كثير من الباحثين في الاقتصاد الديني - إن صح التعبير - نفس منهج البحث في الاقتصاد الوضعي ،فيستعيرون نفس مصطلحاته في محاولة لإقامة هيكل اقتصادي ديني جديد يتشكل إطاره من هيكل الاقتصاد الوضعي ،وفي هذا يحاول هؤلاء الباحثون ايجاد نوع من التوفيق بين ما تقرره الأديان من أصول ،وما يجرى في الواقع من أمور هي نتائج منهج أو فكر يختلف بالضرورة عن المنهج أو الفكر الديني.

لقد خلق الله الأرض للإنسان ليعيش عليها في يسر ،ييسر له ذكر خالقه وفي تسخير السماوات والأرض للإنسان نعمة من الله لهذا الإنسان ،ولذلك كان كل تسخير لما خلق الله يقصد به غير طاعة الله بمثابة كفر للنعمة ،وخروج بالأمور عن مقتضياتها التي خلقت من أجلها.

إن منهج البحث في الأديان ،أيا كانت مجالات هذا البحث لابد أن يرتكز على هذا الأساس،ترابط عضوى بين الدين والدنيا ،والحياة والآخرة ،فالحياة وسيلة إلى غاية ،وإذا صلحت الوسيلة صحت الغاية ،وتحقق الهدف المراد من الحياة،وفي تقديم الآخرة على الدنيا ،والموازنة بين الآخرة ككل والنصيب من الدنيا دلالة على عظم الوزن النسبي للآخرة .ذلك أن الأديان أطلقت سلطان العقل من كل ما يقيدها.

إن التزاوج بين ما هو كامن في النفس ،وما صادقت عليه الأديان من سماحة وتقدير للحرية،والتنظيمات المعاصرة،يفجر الطاقات الكامنة في ميادين الاقتصاد والمعارف والعلوم والفنون . وليس للفكر الإسلامي في الاقتصاد وجود مستقل عن غيره من الأفكار المكونة للتصور الإسلامي العام . وقد كان الأمر كذلك

فى العالم المسيحى فى أوربا فى العصور الوسطى .حيث كانت الأفكار الاقتصادية مختلطة بالدين والتاريخ والفلسفة.

وقد كانت الكنيسة تحتل فى هذه الفترة مكانة بارزة فى حياة الفرد العادى حيث كانت تطاول الملوك والأمراء فى سلطاتهم الزمنية،ولذلك كانت قرارات الكنيسة مصطبغة بالصبغة الدينية .على أنه حينما اتسع نطاق الأسواق ،ونمت التجارة وخاصة فى أواخر تلك الفترة ،أصبح الفكر الكنسىلا يساير هذا التطور ،ومن ثم تجردت قرارات الكنيسة من صبغتها الدينية،وتم فى النهاية الانفصال بين قواعد الدين ،وقواعد السلوك الاقتصادى ،وغيره من أنواع السلوك الأخرى.

ويرجع اختلاط الفكر الاقتصادى بغيره من الأفكار فى اليهودية والمسيحية أساسا،إلا أن اليهود والنصارى كانوا يأخذون دينهم عن الأحبار والرهبان ،فضلا عن الأفكار الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ،وذلك دون الرجوع إلى أصل كتبهم ،حتى انتهى الأمر إلى أنهم كانوا يعتبرون كلام هؤلاء الأحبار والرهبان حجة عليهم كأنهم اعتبروهم أربابا من دون الله .وفى هذا يقول الله تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون" ( التوبة ٣١ ).

إن المراد بالاقتصاد فى الفكر المعاصر ،هو ذلك العلم الذى يحكم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التى تنشأ بين أفراد المجتمع من خلال انتاج السلع وتوزيعها وتقديم الخدمات ،إشباعا لحاجات الإنسان . وعلى هذا يكون إشباع حاجات الإنسان المادية هو هدف الاقتصاد بمفهومه المعاصر.

وتعنى الأديان بالمسائل الاقتصادية ،وتحرص على ذلك كوسيلة للحياة الكريمة التى ترعى القيم ،وتنمى خصائص الإنسان العليا ،وتزكى ثواب الله فى الآخرة .بمعنى أن اهتمامه دنيوى وأخروى ،ولهذا يقول الله تعالى : "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا " ( المائدة ٤٨ ).

فالأديان مع شمولها وكمالها تدعو كلها إلى خير الدنيا والآخرة ،فلا تخلو من المسائل الاقتصادية التى لها أثر فى حياة المجتمعات.من أجل ذلك كان لسماحة الأديان دورهم فى التنمية الاقتصادية ،فهى من شأنها أن تعمل على رواج السلع وتقوية الروابط بين الأفراد، والإحساس بالطمأنينة والأمن ،والرغبة فى استغلال هذه السماحة ،والعيش فيها ،ومحاكاتها من منطلق أن مبدأ السماحة يمكن أن يصير عبادة يثاب عليها الإنسان إذا قصد بها وجه الله،وابتغى مرضاته ،فالنشاط الاقتصادى فى مفهوم هذه الأديان وتحت شعار السماحة،لا يهدف إلى نفع مادى،وإنما يتخذ من هذا الموقف وسيلة لغاية أخرى هى إقامة العدالة والمحبة.ذلك أنه إذا كان الهدف من النشاط الاقتصادى.هو تحقيق نفع مادى كفاية ،فإن المصلحة الشخصية لابد أن تطغى إلى أن تتحقق السيطرة الاقتصادية فى النهاية ،ومن ثم يغلب الطابع الاحتكارى على الأسواق،ويتم التهديد بالحرب فى كل حين . إما إذا كان الهدف من النشاط الاقتصادى مبنيا على السماحة وفى ظلها ،تتحرر معه النية ،ويخلص فيه القصد لله تعالى ،فإن التفاهم لتحقيق خير المجتمع والفرد سيتحقق لا محالة.

إن الموارد ليست معدة للاستهلاك المباشر فى جملتها ،بل لابد من تضافر عناصر الانتاج من طبيعة وعمل ورأس مال لتحقيق ذلك . إن المجهود الإنسانى هو حجر الزاوية فى هذا الباب ،فبدون ذلك المجهود لن يستطيع الإنسان توفير احتياجاته ومن ثم فقيمة الإنسان تتحدد عملا بمقدار ما يبذل من جهد ،على أساس أن من فطرة الإنسان بذل هذا الجهد.والواقع أن الأديان لا تواجه المشكلة الاقتصادية من زاويتى الإنسان وإمكانات الإنتاج فقط ،وإنما تواجه تلك المشكلة من ناحية توزيع الناتج كذلك ،بحيث تلتقى حقوق الفرد مع حقوق المجتمع ،ويتحقق التوازن بينهما .

ومع أن وجود المشكلة الاقتصادية فى حد ذاته يعتبر محركا للتطور الاقتصادى ،فإن الإسلام وهو يهتم بتنمية طاقات الإنسان الروحية والتعبدية ،يجعل

هذا الإنسان قادرا على الاستمتاع بصورة أفضل مهما كان قدر الإشباع المادى الذى يحققه ،الأمر الذى يساعد كذلك على تخفيف حدة المشكلة الاقتصادية فى الإسلام تخفيفا ملموسا،وهو ما يختلف عن الاقتصادات المعاصرة على أن الغاية من النشاط الإنسانى فى الإسلام هو عبادة الله ،وليست الأهداف المادية إلا وسيلة لتحقيق هذه الغاية.

ولقد ارتبطت المشكلة الاقتصادية ،فى الاقتصاد الوضعى ،مع وجود البشرية وتطورت معها.فللفرد حاجاته المختلفة سواء كانت ضرورية ،أو غير ضرورية ،وقد تطورت هذه الحاجات بتطور الإنسان نفسه عبر التاريخ.وفى محاولة الإنسان إشباع هذه الحاجات فإنه يوازن بين الموارد الاقتصادية المحدودة،والحاجات الإنسانية فى تطورها،حيث يصدر قرارات للملاءمة بين هذه وتلك ،بحيث ينشأ نوع من الحرمان من شئ على حساب شئ آخر .ومع هذه المحاولات من جانب الإنسان ،يمكن القول بأنه وضع البذور الأولى لمفهوم التنظيم أو التخطيط،ولكن على المستوى الفردى.ويتحقق نفس الشئ على المستوى الجمعى ،وإن كان هذا النوع من التنظيم أو التخطيط يتسم بأنه أوسع نطاقا ،ويختلف فى أسلوبه عن التخطيط على المستوى الفردى.

إن كل مجتمع معاصر يواجه بمشكلة اقتصادية ،تتمثل فى وجود حاجات إنسانية متعددة من ناحية ،وموارد اقتصادية محدودة من ناحية أخرى ،وللتغلب على هذه المشكلة فإن المجتمع يتوافر على انتاج وتوزيع السلع والخدمات إشباعا للحاجات الإنسانية من خلال أسلوب معين للانتاج يختلف من اقتصاد إلى آخر وأيضا من خلال السماحة الدينية.

التنمية الاقتصادية فى الفكر الاقتصادى المعاصر عملية ديناميكية متتابعة تستهدف القضاء على التخلف الاقتصادى والاجتماعى،سواء من خلال تغيير الهيكل الاقتصادى أو أسلوب الإنتاج ،أو من خلال تبنى استراتيجية للتطور الاقتصادى

تحقق هذا الهدف .ومع أن مفهوم التنمية الاقتصادية في الإسلام لا يكتمل إلا بطرح أهدافها ،فإن هذا المفهوم لا يختلف كثيرا عن مفهوم التنمية الاقتصادية فى الفكر المعاصر ،اللهم إلا فى الهدف من هذه العملية ،وما إذا كان مجرد تحقيق إشباع الحاجات المادية ،أم أن ذلك مرحلة لهدف أسمى ،وهو العبودية لله.كما أن مفهوم التنمية الاقتصادية فى الفكر المعاصر ينصرف إلى العمليات المتتابعة التى تستهدف القضاء على التخلف بمفهومه الشامل.

## الـربـــح :

يمثل - فى الفكر الاقتصادى المعاصر - الفرق بين نفقات إنتاج السلعة وثمن بيع هذه السلعة ،وتضم نفقات الإنتاج أجور العمال ،وفائدة رأس المال وأقساط هلاك الأصول ،وغير ذلك من النفقات التى تسهم فى العملية الإنتاجية وإذا كان الأصل أن المنظم ،الذى يجمع بين عناصر الإنتاج المختلفة من طبيعة وعمل ورأسمال ،هو الذى يحقق الربح حيث يكون الربح فى هذه الحالة صناعيا فإن المشترى يحقق كذلك ربحا فى حالة شراء السلعة ،وبيعها بثمن أعلى حيث يكون الربح فى هذه الحالة تجاريا ،ومع ذلك فإن طبيعة الربح واحدة ،وهو الفرق بين إيرادات ونفقات السلعة،ولهذا يسمى الربح بالدخل المتبقى.

## الـفـائـدة :

يتميز رأس المال - كعنصر من عناصر الإنتاج - عن عنصر الأرض والعمل فى أن الإنسان عليه أن يتحكم فى تكوينه ،وذلك بعكس سعر الفائدة الذى تحدده قوى السوق وسعر الفائدة هو الثمن الذى يدفعه مقترض رأس المال للحصول على خدمات مائة وحدة نقدية منه لمدة سنة،أى هو النسبة المئوية لمقدار الفائدة منسوبا إلى المبلغ الأصلى لرأس المال.

ويعتبر السوق المجال الذى تعمل فيه القوى المحددة للأثمان حيث يتم نقل الملكية الذى يصطحب عادة بالانتقال المادى للسلعة .ومع ذلك تعتبر السوق قائمة إذا كانت هناك وسيلة للاتصال بين مجموعة من البائعين والمشترين لتبادل سلعة معينة بثمن معين وفى زمن معين ،حتى ولو تم ذلك عن طريق البرق أو المراسلة.

ليس للفكر الاقتصادى فى الإسلام وجود مستقل عن غيره من الأفكار المكونة للتصور الإسلامى العام ،وقد كان الأمر كذلك فى العالم المسيحى فى أوربا فى العصور الوسطى حيث كانت الأفكار الاقتصادية مختلطة بالدين والتاريخ والفلسفة .وقد كانت الكنيسة تحتل فى هذه الفترة مكانه بارزة فى حياة الفرد العادى ،حيث كانت تطاول الملوك والأمراء فى سلطاتهم الزمنية ،ولذلك كانت قرارات الكنيسة مصطبغة بالصبغة الدينية ،على أنه حينما اتسع نطاق الأسواق ونمت التجارة ،وخاصة فى أواخر تلك الفترة ،أصبح الفكر الكنسى لا يساير هذا التطور ومن ثم تجردت قرارات الكنيسة من صبغتها الدينية ،وتم فى النهاية الانفصال بين قواعد الدين وقواعد السلوك الاقتصادى وغيره من أنواع السلوك الأخرى ،بحيث أصبحت الكنيسة تختص بأمور الدين دون الدنيا.

ويرجع اختلاط الفكر الاقتصادى بغيره من الأفكار فى اليهودية والمسيحية أساسا ،إلى أن اليهود والنصارى كانوا يأخذون دينهم عن الأحبار والرهبان ،فضلا عن الأفكار الاقتصادية والاجتماعية وغيرها،وذلك دون الرجوع إلى أصل كتبهم ،حتى انتهى الأمر إلى أنهم كانوا يعتبرون كلام هؤلاء الأحبار والرهبان حجة عليهم ،كأنهم اعتبروهم أربابا من دون الله،وفى هذا يقول الله تعالى : "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون " ( التوبة ٣١ ).

ونجد في الإسلام ارتباط الأفكار الاقتصادية والاجتماعية بالدين ثابت في كتاب الله ،وفي سنة رسوله الكريم : " وإذا كان الله قد تكفل بحفظ كتابه الكريم كما جاء في قوله تعالى : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ( التوبة ٣٤ ) فإن ذلك لا يعني حفظ الدين الإسلامي كمفهوم ديني فقط ،وإنما يعني حفظه كعقيدة وشريعة في إطار القرآن الكريم ،يسترشد بها المسلمون في حياتهم ،ويطبقونها في دنياهم وفي هذا لا يستطيع أي حاكم أن يحكم بهواه ،وتلك ضمانة كبرى ليس للمسلمين فقط ،بل لغير المسلمين كذلك ،وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : "فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق " ( المائدة ٤٨ ) .

## التنمية البشرية سلام :

تشمل القوى البشرية في الفكر الوضعي الواعي جميع الأفراد القادرين على المساهمة في النشاط الاقتصادي ،وهذا المفهوم يجعل القوى البشرية أوسع من القوى العاملة التي تضم الداخلين فقط في قوة العمل . ولابد أن يتم التخطيط للتعليم في ضوء سوق العمل لنضمن قوى بشرية عاملة فعالة ،وتنمية الموارد البشرية تعني تحرير الإنسان مما يعوقه اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا بما يمكنه من العمل والمشاركة الفعالة على المستوى الوطني والعالمي.

ويحرص الإسلام على أن تكون التنمية البشرية شاملة لكل جوانب الإنسان البدنية والعقلية والروحية ،فالإسلام يطلق لعقل الإنسان العنان ليفكر ويتعلم ويبحث ويهتدي ويكتشف ويخترع ويؤلف ،ويملأ قلبه بحب الإنسانية والعمل لخير البشرية ،وينقي روحه بالعبادات والقيم الفاضلة ،وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "وقال كذلك : "لا ضرر ولا ضرار ".

ان الله تعالى يصور البشرية فى أحسن صورة حاثا على أن نبقيها كذلك شكلا وموضوعا ،فقد قال تعالى : "لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم "( التين ٤ ). وقال . "الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك " ( الانفطار ٧-٨ ) ويميز الله تعالى هذه البشرية عن سائر المخلوقات بعقل مدبر ،ولسان معبر ،وإرادة تذلل العقبات وتهيمن على كل شئ ،ولهذا سخر لها ثروات الأرض والكون ،وطاقاته فى البر والبحر والجو ،تصرفها بعقولها ،وتديرها حسب ما فيه صالحها ،وتكتشف أسرارها جيلا بعد جيل ،وقد جعل الله من العبادة والنظر والتفكير فى هذه الثروات حتى يدرك الإنسان فضل الله عليه،فلا يخضع إلا له وحده ،وفى هذا قال الله تعالى : "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " ( الإسراء ٧٠ ).

إن المنهج فى التنمية البشرية،منهج يشمل المجالات المادية والروحية،ولذلك أرسل الله الرسل للبشر هداة ورعاة ومبشرين ومنذرين ،وحماة لهم من الإنحراف عن منهج الله ،أو التردى فى مهاوى الضلال ،وهو بذلك يحرص على كرامة الإنسان فى كل مراحل نموه،حيث يقر له مبادئ الحرية والمساواة والإخاء والعدل.

## الملكية :

تعتبر مسألة الملكية ،وما يترتب عليها ،من المعالم البارزة التى تميز نظاما اقتصاديا عن نظام اقتصادى آخر . وقد أقر الإسلام الملكية الخاصة وأخذ بها وبنى كثيرا من أحكامه على الاعتراف بها ،والتشجيع عليها ،لأنه قد لمس فطرة التملك فى الانسان ،فأقرها وفى تقريرها يتحقق التنافس بما فيه خير للمجتمع ،واعترف الاسلام بالتفاوت فى الرزق ،قال تعالى : "أهم يقسمون رحمة ربك ،نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا

ورحمة ربك خير مما يجمعون " ( الزخرف ٣٢ ) ،ومن الطبيعى أن تتفاوت جهود الأفراد فتتفاوت تبعا لذلك دخولهم ،وبالتالى ملكياتهم.ويعتبر حق الملكية حق شخصى لا يجوز التعرض له.

وللدولة أن تتدخل فى النشاط الاقتصادى الذى يباشره الأفراد .فالأصل فى الملكية أنها لخير الأفراد والمجتمعات معا . وقد رأينا أن مصدر الفكر الاقتصادى فى الإسلام موجود فى العقيدة والشريعة ،أى من خلال النظرة الشاملة للكون والإنسان والحياة وفى ذلك يتميز هذا الفكر عن غيره من الأفكار الاقتصادية سواء تلك التى سبقته أو عاصرته أو لحقته.ولأن الشريعة الإسلامية تأمر بممارسة النشاطات النافعة وتصفها بالحلال والحرام ،فإن الفكر الاقتصادى الإسلامى ينظم النشاطات الإنسانية فى مجالات الانتاج والتنمية والتوزيع .ويتعين أن تتركز الموارد الاقتصادية فى انتاج السلع والخدمات النافعة التى تشبع الحاجات السوية للإنسان والتى تشكل وفقا للأذواق والميول التى تكونها المفاهيم والقيم الإسلامية.

والتنمية الاقتصادية فى الفكر الاقتصادى المعاصر عملية ديناميكية متتابعة تستهدف القضاء على التخلف الاقتصادى والاجتماعى سواء من خلال تغيير الهيكل الاقتصادى ،أو أسلوب الانتاج ،أو من خلال تبنى استراتيجية للتطوير الاقتصادى تحقق هذا الهدف .ويمكن القول أن التنمية الاقتصادية فى الإسلام تعتبر جزءا لا يتجزأ من مضمون خلافة الله للإنسان على الأرض ،حيث يتطلب ذلك تحقيق التقدم للأفراد والمجتمع فى إطار العرفان بالشكر لله عز وجل.

## التنمية الاقتصادية والسلام :

التنمية الاقتصادية هى اليوم موضوع الساعة ،والشغل الشاغل للساسة والمخططين ومع ذلك لم يكن الاهتمام بدراستها إلا حديثا ،بينما نجد الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ،قد أولى قضية التنمية عناية فائقة ،واهتماما خاصا.

التنمية في ظل النظام الاقتصادي الإسلامي فرض وضرورة ،إذ تستهدف تحقيق الإنسان ،من خلال عمله ،درجات متزايدة من التعامل المنضبط مع الموارد المتاحة في الكون ،التي سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمته ،وذلك لتحقيق تمام الكفاية ،الذي يتناسب مع متوسط المعيشة السائد في المجتمع المسلم ،ويعني ذلك تحقيق مزيد من الدخل .ومن عناصر القدرة الاقتصادية ،إلى جانب مشاركة الدولة في إشباع الحاجات الأساسية لغير القادرين ،وتوفيرها للاستقرار والأمن الاقتصاديين.

إن الإسلام ينظر إلى التنمية نظرة شمولية تجمع بين تطوير كل من الأرض والموارد الطبيعية والإنسان ،والموارد البشرية .لذلك اهتم الإسلام بالتنمية ،وعدها عبادة لله تعالى ،وجعلها من واجبات الاستخلاف .قال عز وجل : "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " ( هود ٦١ ).بل لقد بلغ حرص الإسلام على التنمية وإعمار الدنيا ،أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها ،فليغرسها ،فله بذلك أجر "- أخرجه البخاري.

كما شغلت قضية التنمية فكر المسلمين الأوائل ،واحتلت المقام الأول في اهتماماتهم تحت شعار التنمية الشاملة ،والنهوض بالمجتمع في مختلف مجالات الحياة الإنسانية ،وهذا جوهر ما تسعى إليه التنمية في الاقتصاد المعاصر.

فالإسلام يهتم إهتماما بالغا بالتنمية الاقتصادية، بيد أنه يعالجها بوصفها جزءا من كل: هو التنمية الإنسانية.. فأول وظيفة من وظائف الإسلام هي توجيه التنمية الإنسانية في المسالك الصحيحة، لهذا كان التركيز، حتى في القطاع الاقتصادي، في التنمية الاقتصادية الإنسانة، بحيث تبقى التنمية الاقتصادية عنصرا مكملا، وجزءا لا يتجزأ من التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للجماعة الإنسانية.

وفي ضوء المبادئ الأساسية للإسلام يمكن أن نستخلص مفهوم الإسلام للتنمية الذي تتضح ملامحه في النقاط الآتية :

-المفهوم الإسلامي للتنمية له خاصية الشمول ، إذ يتضمن المظاهر الخلقية والروحية والمادية في آن معا - وبهذا تصبح التنمية نشاطا هادفا ومتجها إلى الخلق ،ومنصبا على البلوغ بالرفاهية البشرية حدها الأمثل .والرفاهية التي يبحث عنها الإسلام إنما تمتد إلى الحياة الآخرة ، وليس ثمة تنازع بينهما ،وهذا البعد مفقود في المفهوم المعاصر للتنمية.

-الإنسان هو مركز الجهد التنموي ،وهو قلب عملية التنمية ،وهدف التنمية أن يكون عقل الإنسان سليما ،وجسمه صحيحا ،وعرضه مصونا ،وماله محفوظا ،وقبل هذا وبعده أن يكون دينه وعقيدته صافيين ،ولهذا طالب الإسلام بتنمية كل هذه الجوانب الضرورية للجماعة الإنسانية.

-التنمية نشاط متعدد الأبعاد ،وهي في الإسلام أكثر من ذلك ،إذ يسعى الإسلام إلى إقامة التوازن بين مختلف الاتجاهات والأبعاد ،دون تركيز في جانب ،أو إهمال جانب.

-يؤكد الإسلام تأكيدا خاصا مبدأين ،من المبادئ الفعالة في الحياة الاجتماعية هما: الاستخدام الأمثل للموارد التي أنعم الله بها على الإنسان وبيئته الطبيعية،والاستخدام العادل والتوزيع الحق للعلاقات الإنسانية .وعليه يمكن القول.إن التنمية الاقتصادية في ظل الإسلام تستلزم مشاركة الإنسان الفعالة ،وتتجه إلى تحقيق الحد الأمثل من الرفاهية الإنسانية ،وإلى بناء قوة الأمة.

لم يعرف الفكر الإسلامي تعبير التنمية الاقتصادية ،بيد أنه حوى من المصطلحات ما يحوي مصطلح التنمية ،وكان أقرب تعبيرا عن التنمية والعملية التنموية.

وفي القرآن الكريم جاء قول الله تعالى : "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " ( هود ٦١ ) يقول القرطبي - رحمه الله - : قال بعض علماء الشافعية : الاستعمار طلب العمارة ،والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب .وقال الجصاصي : وفيه

دلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والفراش والأبنية .وفي قوله : "واستعمركم فيها " أمر بالعمارة ،وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة ،فقد روت عائشة - رضي الله عنها - عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق " وفي هذا المجال وردت نصوص عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كقوله : "من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهي له " وقوله لبلال بن الحارث "إن رسول الله لم يقطعك لتحتجزه عن الناس،وإنما أقطعك لتعمل ،فخذ منها ما قدرت على عمارته ،ورد الباقي " فهنا دفع للناس وحث على الإنتاج والتنمية،فهذا قوله رضي الله عنه أيضا : "والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل ،فهم أولى منا بمحمد يوم القيامة " وقال كذلك : "من كان له مال فليصلحه ،ومن كانت له أرض فليعمرها ،فيوشك أن يأتي من لا يعطى إلا من أحب " ،وقال أيضا لواليه على بعض أقاليم الدولة : "إن الله قد استخلفنا على عباده لنستر جوعتهم ،ونستر عورتهم ،ونوفر لهم حرفتهم ،فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها ،إن الله خلق الأيدى لتعمل ... " هكذا كانت النظرة إلى التنمية من خلال العمل المنتج وأهميته في النشاط الاقتصادى ،والدعوة إلى التنمية وعمارة الأرض لأن حاجة الإنسان إلى المادة اللازمة هي قوام نفسه.

ومن يقرأ كتاب " نهج البلاغة " للإمام على بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقع نظرة على جمل من القول يتمثل فيها فكره الاقتصادى ،رضي الله عنه .وموقفه من عدة قضايا تمثل جوهر التنمية الاقتصادية .فمن خلال كتابه رضي الله عنه لواليه على مصر " الأشترالنخعي " نجده يحدد فيه مجموعة من الضوابط والقواعد الاقتصادية ومنها :

-عناية الدولة لشئون التجارة ورعايتها للتجار .

-منع التجار من الاحتكار، أو الإضرار بالناس.

-تطبيق فكرة الثمن العادل ،وضبط الموازين والمكاييل.

-إرشاد الناس إلى السماحة فى البيع والشراء.

-معاقبة التجار الذين يضيقون على الناس.

وبهذه الضوابط والقواعد الاقتصادية تقوم التجارة بدورها فى تحقيق بناء المجتمع، ودفع كل من القطاع الزراعى والصناعى إلى الأمام فى مجال التقدم والازدهار ،ومن ثم تتحقق التنمية،فى مجتمع سليم ،وهذا هو الهدف الأساسى.

وقد جاء فى مقدمة العهد الذى كتبه على بن أبى طالب كرم الله وجهه للأشتر النخعى : "هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين ،مالك بن الحارث الأشتر ،فى عهده إليه حين ولاه مصر ،جباية خراجها، وجهاد عدوها ،واستصلاح أهلها ،وعمارة بلادها ". وفى هذه المقدمة تخليص لوظائف الوالى التى كلفها بها أميره.

والهدف إقامة مجتمع فاضل، ذلك المجتمع الذى يتمتع بأعلى مستوى من طيب الماديات ،والتزام تقوى الله تعالى. وقد حدد رضى الله عنه هذا الهدف فى كتابه لمحمد بن أبى بكر - رضى الله عنهما - والى مصر ،إذ يقول : "يا عباد الله ،إن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، وشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم ،ولم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم ،أباح لهم الله الدنيا ما كفاهم به وأغناهم .. سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ،وأكلوها بأفضل ما أكلت ،أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا ،وهم غدا جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون ،لا ترد لهم دعوة ،ولا ينقص لهم نصيب من اللذة ،فإلى هذا يا عباد الله ليشتاق من كان له عقل ،ويعمل له بتقوى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ... " ويقوم مفهوم أمير المؤمنين على العدالة ،فالتوزيع العادل لثمار التنمية جزء من مفهومها فى فكر الإمام القائل : "ما جاع فقير إلا بما متع غنى " ولتحقيق التنمية فى نظر الإمام فوسائلها تحقيق التوازن الاقتصادى ،وإقرار الأمن والاستقرار ،والقيام بالتوجيه لأوجه النشاط الاقتصادى كافة ،وعدالة التوزيع.

ولذلك نرى الأديان الثلاثة السماوية تهتم بالسماحة ،حيث ينفي معها أي مؤثر أو ضغط ،فالفرد أقدر على فهم واجباته ،وتحديد موقفه من كل عمل يقوم به ،وعلى تقويم نفسه وتحديد مدى تطبيق السماحة في جميع المجالات ،فالسماحة كما تراها الأديان تعتبر وسيلة لتطويع الأفراد ،والأفراد هم الذين يرسمون الطريق للإصلاح ،فإذا صلح الفرد صلح المجتمع كله ،وهذا ما نادى به الأنبياء وجميعهم واحد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد رأيتني في الحِجْر ،وقريش تسألني عن مسراي ،فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكُرِبْت كُربة ما كربت مثله قط ،فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شئ إلا أنبأتهم به ،وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى عليه السلام قائم يصلي فإذا رجل ضْربُ ( ممشوق ضعيف اللحم ) جعد كأنه من رجال شنوءة ،وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي ،أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي ،وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي ،أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه ،فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار،فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام " .موسى وعيسى وإبراهيم في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،جاؤا جميعا خاضعين مستلسمين لله، وهذا هو الإسلام ،أن تسلم لله وجهك وتخضع له ،الجميع يصلي صلاته تقربا إلى الله ،ويجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم، في صلاته حيث يقصد وجه الله تعالى .فهذا يصلي وذاك يصلي وهذا يصوم وذاك يصوم ،كل بحسب شريعته ،وسيلة لغاية واحدة ،فقد كانت هناك صلاة السجود تعلمها لنا السيدة مريم العذراء في قول الله تعالى لها : "يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين " ( آل عمران ٤٣ ) ،تخلص الطاعة بهذه الصلاة .تلك مريم التي كلمتها الملائكة وقالوا لها إن الله قبلك وطهرك وخصك بالكرامات : "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " ( آل عمران ٤٢ ) فأطيعي الله وصلي له مع المصلين. مريم التي اصطفاها

الله على كل نساء العالمين - كل نساء العالمين دون استثناء - وابنها المسيح عيسى عليه السلام الذى علمه الله التوراة والإنجيل ،وجعل فيهما هدى ونور .

عيسى عليه السلام الذى أنطقه الحق تبارك وتعالى : "قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون " ( مريم ٣١ - ٣٤ ) ،قال ذلك وهو فى المهد ،وقال عنه الله تبارك وتعالى : "ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين " ( آل عمران ٤٦ ) ،ويقول : "إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا " ( المائدة ١١٠ ) . هذا هو النبى عيسى عليه السلام ابن السيدة مريم أوصاه الله بالصلاة والزكاة والبر بأمه ،يكلم الناس وهو فى المهد فى حالة الطفولة ويكلمهم فى حالة الكهولة كذلك ،وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.

أما موسى عليه السلام ،فقد علم المجتمعات كيف يكون الضبط الذاتى وكيف يكون الضبط الاجتماعى من خلال القصة التى يرويها القرآن الكريم فى هذه الآيات : "ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ......." (القصص٢٣) القصة معروفة فابنتا شعيب قد خرجتا للسقاية،فوجدتا جمعا من الناس يردون الماء، فتراجعتا فرآهما سيدنا موسى عليه السلام، وكان فتيا فسألهما عن سبب خروجهما، فقالت أبونا شيخ كبير، فسقى لهما.. هذا واجب الأفراد فى المجتمعات، واجب الشباب إذا ما رأى فتاة قد اضطرت لقضاء حاجة، ولم تستطع وسط الزحام ،أن يقدم لها يد العون والمساعدة ،وأن يكون أمينا مخلصا لوجه الله، هنا يتحقق الضبط الذاتى والضبط الاجتماعى فى مجتمعاتنا.

نرى اليوم أنفسنا بعيدين عن هذا المنهج، حتى دخلنا فى حروب وقتال من أجل الأرض ،الأرض التى وضعها الله للأنام ،بلا حدود أو فواصل فتسابقنا من أجل لاشئ اللهم دماء ودمار للإنسانية ،ونسوا أن حرب السماء لا تبقى ولا تذر ،ولم

تأخذهم عين التأمل مما تتخلص منه الطبيعة من زوائد كالفيضانات والزلازل والبراكين والأعاصير والحوادث ،وغير ذلك ،ولو استفاقوا لعلموا أن الأرض يرثها الله وأن كل الذى فوق التراب تراب.

إن التسامح فى الأديان له دور عميق فى التنمية التى من شأنها أن تكفل حياة سعيدة هانئة ،فنحن مؤمنون أشد الإيمان بأن الأديان السماوية تكفل للخلق الصلاح ،وتحقيق المجد والسؤدد ،والسابقون ضربوا لنا أروع الأمثال الدالة على السماحة فى الأديان ،فهذا أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم،يقول فى قافلة يودعها : وإنكم ستمرون على أقوام قد حبسوا أنفسهم فى الصوامع ،فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ( لكم دينكم ولى دين ) ،فلا شأن لنا بمن يتخذ لنفسه طريقا أو سبيلا ،لا تختلف عن غيرها فى الهدف الذى يحققه وأن ينظر للمرء على أنه من صفات الله ،فلا يهان ولا يحزن ،وله من الحقوق ما لغيره من البشر ،فلا يحرمن أحد من حقه فى الحياة ،ولنا فى العبارة التى تقول : "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" خير دليل على وجوب احترام الإنسان.

وكلمة حق تقال فى النصارى ،فهم قوم صادقون ،لا يعرفون للكذب محلا،أمناء ،أوفياء ،مخلصون فى أعمالهم يؤدونها كأحسن ما يكون الأداء ،مسلكهم ينم عن شخصية مؤمنة صادقة ،والصدق أشد الإيمان ،والصدق أمانة ،وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكذب المؤمن أو يسرق أو كذا وكذا ،، قال : نعم،فلما سئل أيكذب ؟ قال : لا ... تلك صفة يقاس بها المؤمنون، والمسيحيون لا يحلفون بالله ولا يكذبون ، ولا ترى فيهم محتاجا أو جائعا أو محروما أو متسولا ، لأنهم متعاونون يعرفون كيف يسدون هذه الثغرات ، وإذا زرت كنائسهم أو أديرتهم أو معابدهم ،لا تجدها إلا نظيفة مهيأة لجو إيمانى ،يسمح بأن يربطك بخالقك ،ورغم هذا يحرمون من بعض الحقوق ،كالإعارات الخارجية ،وتقلد بعض المناصب ،وغير ذلك.

أما اليهود فقد أوجدوا لنا تجارة صادقة ،في نماء وتقدم ،فهم حريصون على النظام والدقة والجودة ،ومحلات شيكوريل وصيدناوى ،وداود عدس فى العهود السابقة خير دليل على ذلك ،ودورهم فى البنوك والصناعة والزراعة مشهود حتى يومنا هذا ،وكان تعاملهم مع المسلمين والمسيحيين يفوق التصور ،لأن هذه الأديان كانت تطبق مبدأ السماحة.

ومن مقتضيات المنهج فى الأديان للحياة أنه يقوم على السماحة والمحبة والتعاون والعدل ،والسماحة تشمل كل هذه الصفات ،ومن ثم كانت ركنا أساسيا من أركان المجتمع ذات تأثير كبير على الأركان الأخرى.

والسماحة فى جميع مجالات الحياة هى امتداد للعدل الكونى ،مما يتعين معه أن يكون الإنسان سمحا عادلا فى سلوكه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث له" رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"والإنسان يختلف فى ملكاته ومواهبه من فرد إلى آخر ،ومن العدل أن يتحقق الاختلاف فيما يعود على كل منهم جزاء أعمالهم. وإذا كان الهدف من هذا التفاوت هو التعاون ،فإن هذا التفاوت لا يكون مطلقا ،وإنما مقيد بحدود هذا الهدف ،فالرجل يختلف عن غيره فى شخصيته ومعاملته السمحة، فكلما كان سمحا باع واشترى وحقق ربحا مرضيا يسعد به ويطمئن إليه ، وتنعكس هذه السماحة . أيضا فيمن يطالب بحقه إذا كان له شئ نسيه ورجع يطلبه ،وهنا تتجلى السماحة فى أعلى معانيها ،وتظهر الجانب الإيمانى لدى الشخص البائع أو المشترى ،وهذا السلوك من شأنه أن يجعل الروابط بين الأفراد قوية متينة . ويجعل لإنسان فى أمان وثقة ،ولا يساوره الشك أو الانتهازية ،وهنا يتحقق التوازن الاجتماعى.

إن الأديان السماوية الثلاثة تدعو للسلام كأساس للتنوع الدينى لأنها منزلة من عند الله الرحيم بأبنائه فلا يمكن لأى ديانة منزلة من عند الله أن تكون محرضة على القتل أو الذبح أو الحرق بين أتباع هذه الديانات . فالأديان الثلاثة منزلة

لسعادة الإنسان مع أخيه الإنسان على الكرة الأرضية أيا كانت ديانة الإنسان أو لغته أو جنسيته لأنها ديانات سلام فقد ورد بالإنجيل وهو دستور المسيحيين كدين سلام في إنجيل يوحنا ١٤ ( سلامى اترك لكم سلامى أعطيكم ) ،وكذلك ورد فى إنجيل لوقا ٢ ( المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) وكذلك ورد فى إنجيل لوقا ١٠ ( وأى بيت دخلتموه فقولوا سلام لأهل البيت فإن كان أننا للسلام يحل سلامكم عليه ) وكذلك من يطلع على القرآن وهو دستور المسلمين نجده دين سلام ،فقد ورد فى القرآن فى سورة البقرة آية ٢٠٨ " يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين " وكذلك ورد فى سورة الأنفال آية ٦١ "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ) ومما هو جدير بالذكر فى الإسلام كدين سلام أن تحية الإسلام هى السلام فشعارهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الإخاء الدينى سلام :

اتسع خلال العقد الماضى حقل الأبحاث المعنية بدراسة علاقة المسلمين باليهود فى دول شمال أفريقيا ،وتفيد نتائج الأبحاث أن يهود هذه الدول طرأت تحولات على أوضاعهم القانونية فى كل من المغرب ومصر خلال القرن التاسع عشر فإنها تعد من أبرز السمات المميزة للفترة الانتقالية التى قامت فيها السلطات بإلغاء كافة القيود التى فرضت على اليهود إبان العصور الوسطى ،وكانت الإصلاحات الخاصة بتحسين أوضاع اليهود مرتبطا إلى حد كبير بطابع المجتمع الإسلامى ،وبمدى قوة الحكام المحليين.

وتوضح نتائج الأبحاث الصادرة حديثا أن اليهود كانوا مندمجين فى حياة المجتمع فى بلدان الشمال الأفريقى ،وأنهم كانوا على قدر كبير من النشاط فى المحال الاقتصادى ،وأن أنشطتهم لم تقتصر على المعاملات التجارية الضخمة، وإنما

شملت الاشتغال فى كافة مجالات التجارة ،وكانت الروابط الاقتصادية بين اليهود والمسلمين تعتمد على حجم الرعاية التى كان يقدمها المجتمع سواء الإسلامى أو القبلى إلى اليهود. وأسهمت العديد من العوامل فى تميز يهود مصر عن سائر يهود شمال أفريقيا ،كان من بينها أن نصف يهود مصر كانوا ينعمون برعاية لدول الأجنبية ،وقد ظل يهود مصر ينعمون بالعديد من الامتيازات الخاصة حتى عام ١٩٣٧ ،وحظى يهود مصر منذ عام ١٩٢٤ بحق التمثيل النيابى فى كل من القاهرة والإسكندرية . وكان من بين مظاهر حصول مصر على الاستقلال ،أن الطائفة اليهودية فى مصر أصدرت فى عام ١٩٢٦ تشريعات جديدة كان من بينها أنه من الضرورى أن تضم لجنة الطائفة المكونة من ثمانية عشر عضوا ،ستة يهود من حاملى الجنسية المصرية . وكانت البنية التنظيمية للطائفة اليهودية فى مصر متشعبة للغاية ،بالمقارنة بلجان الطوائف اليهودية فى سائر بلدان شمال أفريقيا ، فلم تقتصر أنشطة الطائفة على بحث القضايا الدينية ،بل شملت تأسيس المدارس والمؤسسات الصحية ،تلك الأنشطة التى كانت تقوم بها السلطات أو الجهات الأجنبية الأخرى . ونجح يهود مصر فى ممارسة كل هذه الأنشطة .وتأسست فى كل من القاهرة والإسكندرية العديد من اللجان الخيرية التى عملت على تقديم المساعدة للآخرين.

وليس من شك فى أن يهود مصر كانوا من أكثر يهود شمال أفريقيا الذين انخرطوا بأعداد كبيرة فى القطاع الاقتصادى الحديث، الذى شهد تطورا ضخما منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر ،فقد تمكنوا من التفوق سريعا فى الحياة الاقتصادية واشتغلت أعداد ضخمة منهم فى البنوك والشركات المالية ،وفى مجال الصناعة ،كما أسهموا فى تطوير صناعة الغزل والنسيج ،ومصانع السكر ،وفى تشييد خطوط السكك الحديدية ،وفى إدارة بعض البنوك الضخمة مثل البنك الإنجليزى المصرى ( البنك الأهلى المصرى الآن ) والبنك المصرى للقروض ،والبنك الزراعى. يرى معظم الباحثين أن اليهود كانوا على قدر كبير من الاندماج فى الحياة الاقتصادية للمجتمع الإسلامى بالمغرب ،وأنه كان للمسلمين ولليهود نفس القيم الدينية والأخلاقية ،وأنه ساد قدر ضخم من التشابه فيما بينهما فى مجال اللغة ،ساد

أيضا قدر كبير من التعاون بين التجار المسلمين واليهود ،فتعاونوا فى تقديم القروض للسكان ،كما كانت لهم بعض الأراضى والمراعى المشتركة ،واشترك بعض التجار اليهود مع المسلمين ،وأقاموا فى أوساطهم معظم أيام السنة ،كما نعموا بحرية التنقل وانضمت أعداد غير ضئيلة من التجار والعمال اليهود إلى طوائف الصناع والحرفيين التى ظلت تمارس أنشطتها حتى عقد العشرينيات من القرن العشرين .وأدت الأنشطة الاقتصادية المشتركة للتجار اليهود إلى تزايد قوة الروابط الاجتماعية فيما بينهم.

إن تحقيق الهدف والوسائل اللازمة لتحقيقه يمثل الخطة الاقتصادية ،فالأمر يتعلق باتخاذ القرارات الاقتصادية الجوهرية : أى المنتجات تنتج والكمية التى يتم إنتاجها ،كيفية وزمان ومكان إنتاجها ،مصير هذه المنتجات بعد إنتاجها فيما إذا كانت للاستعمال النهائى أى للاستهلاك ،أو للاستعمال فى الإنتاج وفى أى فروع الإنتاج . وبهذا التحديد تتضمن نوعا من التنظيم الاجتماعى لعملية الإنتاج والتوزيع فى المجتمع ،يختلف بالضرورة عن نفس التنظيم فى الاقتصاد الرأسمالى.

ولو سارت الأديان سيرها الطبيعى بوصفها رسالات من عند الله ،لالتقت جميعا فى أهدافها ،وفى كثير من وسائلها ،والعقيدة الصحيحة معروفة لكثير من علماء الأديان ،قال تعالى : "قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين " ( المائدة ٦٨ ) . والقرآن جاء مصدقا للتوراة والإنجيل ،وما فيهما من شرائع والقرآن الكريم هو آخر الكتب المقدسة التى أنزلها الله إلى البشر ،ولقد مضى حتى الآن أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان على نزول القرآن الكريم على نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ،ولا يستطيع أحد أن يزعم أن أى كتاب سماوى قد أنزله الله على أحد من البشر بعد نزول القرآن الكريم ولذلك لم يحدث أن رأينا أى كتاب سماوى بحق بعد القرآن الكريم ،ولا يعقل أن يدعى أحد مجرد ادعاء نظرى أنه يستطيع أن يأتى بكتاب مثل القرآن الكريم إذ ليست العبرة بالادعاء ،ولكنها بالفعل ،ولم يمض مثل هذا الزمان الطويل على نزول كتاب سماوى حتى كان الله سبحانه وتعالى قد أنزل غيره على نبى آخر حتى جاء

الإسلام خاتما للرسالات السماوية ،فلم ينز ل أى كتاب مقدس بحق بعد القرآن الكريم دون ريب أو مراء.

لقد أرضى الإسلام الفرد والجماعة ،فحرية الإنتاج والحرية الشخصية بكل ضروبها، وحرية الملكية الفردية كلها كفلها الإسلام للفرد على ألا يضار الغير .ومع أن الإسلام احترم الملكية وكفل ثبوتها وحقوقها إلا أنه وسع هذه الحقوق فى الظروف القاهرة بما يقرب من تعميمها تحقيقا للتكافل الاجتماعى الذى يستهدفه الإسلام فى أحكامه ،وعباداته على السواء ،وقد احترم الإسلام الأسرة حين جعل الوراثة فيها مجتمعة مع أولوية بعضها على بعض ،ثم ألزم الوارث بالنفقة .. ومن إنسانية الإسلام وجوب النفقة مع اختلاف الدين إذا كانت نفقة الأصول والفروع ،كما جاء فى المذهب الحنيفى.

ومن أصالة الإسلام أن أوجب النفقة على الأسرة أو الدولة لطالب العلم ذى الموهبة ،كما قدس العمل إلى حد : ( من عمل فأخطأ فله أجر ،ومن أصاب فله أجران ) وهى دعوة للمحاولة والاجتهاد.

إن العمل أعلى درجات الاقتصاد بما هو اقتصاد طاقات الإنسان وسداد توجيهاته . والعمل خير مرب للإنسان حين يقوم على مشاعر الاحترام له والإيمان به وحين يقوم على طاقات الصبر والتجويد والخبرة . وقد أورد القرآن الكريم لفظ : العمل ما بين اسم وفعل فى ثلاثمائة وخمسين موضعا ونيف وهو احتفال بالعمل ودوره فى حياة الإنسان والأديان .هذا هو الإسلام ليس دينا فحسب ولكنه هدى وتشريع واجتماع وتحرير الإرادة الإنسانية من رق الاستغلال والأضرار والقهر والتبعية المادية أو النفسية.

الإسلام دين حضارة وثقافة وإنسانية ذات أبعاد بعيدة المدى ،تتجدد العصور وتتجدد معها الرؤى.

## خاتمة :

تشهد الأديان فى مختلف بلدان العالم نهضة واضحة ،وتبدى نشاطا فعالا إلى ذلك ،فإن قيام البحث عن أبعاد تفوق الدنيا ،والميل إلى مظاهر قريبة من الشعائر الدينية - وإن لم تكن مرتبطة بدين معين - إن إفاقة البحث عن معنى الحياة والمجتمع والتاريخ ،وعن الأبعاد السامية ،إن كان هذا دليلا واضحا على تعلق الإنسان بالله وحاجاته إلى الخلاص ،وتطلعه إلى سبل هذا الخلاص ،فالأديان تقوم بدور توضيح معنى الحياة بالنسبة إلى الله ،وعلاقة الإنسان بالله ،وبالنسبة إلى الكون والحياة والموت ،وتاريخ البشرية الشامل ،وتقدم الأديان بواسطة ما تؤكده لشرح أبعاد الكون والحياة والنشوء والتاريخ ،توجها يساعد على الاضطلاع الموفق بمهام الحاضر ،وضبط الماضى والتخطيط للمستقبل.

إن الدين أو الإيمان ليس أمرا ثانويا لبناء الحضارة وصونها ،بل هو عنصر يمدها بطاقة القيم والأخلاق الروحية ،ويمدها بالمعنى الحقيقى الأصيل للوجود والمصير.

الإيمان بالله الحق المطلق ،وبمعنى المصير إليه ،يعطى الإنسان قيمته الحقيقية وللحضارة غايتها السامية .إن الإيمان بالله طاقة تفجر فى الإنسان وفى المجتمع كل المبادرات البناءة وتحول المستقبل برغم العقبات إلى رجاء حى،ويحول الحياة إلى رسالة سامية.

لم يشهد قرن من القرون الماضية إحساس الإنسان بمأساته بقدر ما يشهده القرن الحادى والعشرين فقد دخلت العلوم ميدان البحث عن الجذور الإلهية لوجود الإنسان .وعن أسرار الطبيعة ،ومصادر طاقتها الخلاقة فى سعى حثيث لدراسة الكتب المقدسة برؤية جديدة ،ودراسة التراث القديم ،تقدم رائع فى علم النفس ومآسى البشرية .وأهم من ذلك كله نهج جديد عند الإنسان وهو الدخول إلى أعماق ذاته

بعد شعوره المتزايد بكرامته وقيمته وحريته ،وضع الإنسان كما لم يوضع من قبل تحت تساؤلات عديدة ،هى قديمة لكنها أخذت طابع الاهتمام الجماهيرى ،ولم تبق دراسات الفلاسفة وحدهم ،لماذا الشر فى العالم ؟ لماذا مآسى الزلازل والفيضانات ؟ وهل تلك أمور من أخطاء البشر أم من قوانين الطبيعة؟ إنها دعوة إلى الدين والإيمان تسعى إلى رؤى جديدة ،وتفسيرات تلبى تحديات القرن الجديد ،إن كل حضارة القرون الماضية بما فيها من إبداعات القرن العشرين لم تشبع الإنسان ،ولم تمده بالسعادة ،إنه مازال جائعا إلى الحقيقة.

إن من أروع ما تقدمه الأديان من قيم ضمن منظومة الإيمان ،قيمة الإنسان عند خالقه، من هنا فإن تعدد الأديان يكاد يكون سنة من خلق العالم ،واختلاف المذاهب والملل ثمار طبيعية لاختلاف العقول ودرجات الإيمان.

إن الأديان أعظم مصدر للسلام الذى تشهده البشرية ،فهى تملأ قلب الفرد بالأمن والتوازن والطمأنينة ،ومن ثم يسكبها على أسرته ومجتمعه ووطنه وعلى الإنسانية كافة.

إن البحث عن الإيمان فى أعماق القلب قضية لن تتحقق إلا إذا اكتشفنا ودرسنا دين الآخر وفكره ،فهناك مؤمنون بدين دون تفكير أو وعى ،وإنما هو أمر وراثى تقليدى ،ومؤمنون عن اقتناع يؤمنون بأخلاقهم وسلوكهم ،فالقرآن يقول : "قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " وفى الإنجيل : "ليس كل من يقول يا رب يدخل ملكوت السماوات بل من يعمل إرادة الله الذى فى السماوات".

حين يؤمن الإنسان بربه سبحانه وتعالى ،فلابد من صلة بينه وبين ربه الكريم وهذه الصلة تدل عليها الأديان ،وتربط المخلوق بخالقه الرحيم ،وتملأ قلبه بالطمأنينة واليقين ،فيحس بأنه ليس وحده فى هذه الدنيا ،بل هو وسط مجموع من الناس على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ودياناتهم ،ومع هؤلاء جميعا ومن فوقهم واهب الحياة ،وقيوم السماوات والأرض ،قال تعالى : "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر

الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب "( الرعد ٢٨ ) وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الناس جميعا إلى مكارم الأخلاق ،ومنها السماحة منذ بدأ يقيم بناء الأمة ،فالسماحة أساس كل بناء سليم ،بها يترعرع السلوك ،وتثبت العقيدة ،ويتحقق الخير لبنى البشر في كل مجالات الحياة ،وهى دليل تربية الوجدان الدينى للفرد ،بما يجعل مصلحة الأمة ،والمصلحة العامة أسبق فى مناط الاهتمام عنده على المصلحة الخاصة ،بحيث يربى على وازع الضمير.

إن السماحة هى محور الارتكاز الذى تبنى عليه الشخصية ،بعيدا عن التعصب والتشدد ،بحيث يكون العلم بمفهومه المطلق هو السبيل للحكم والفصل بين الأشياء وعلى الأحداث والتصرفات ،وصولا إلى الحقائق والثوابت ،فإنه عندما يتسم الأفراد بالسماحة ،يكون المجتمع قادرا على تحقيق التنمية فى كل المجالات وعلى استشعار الخلل الذى قد يحدث نتيجة للعصبية.

وقد ضربت الأمثلة من الأديان على السماحة ،وكان من نتائجها التقدم والازدهار فى التنمية بوجه عام، وفى التنمية الاقتصادية بوجه خاص ،فازدادت التجارة ،وتوسعت الأسواق ،وأصبحت المعاملات تسير سيرها الطبيعى القائم على الود واللين والعطاء ولسوف تنعم المجتمعات الواعية المثقفة بهذه السماحة المنطلقة من الأديان ،لأن المجتمع يبنى من الأفراد ،والأفراد متنوعون ومختلفون ،فلابد من رباط يجمعهم ويضمهم ليكونوا وحدة يواجهون بها الأطماع والأحقاد والشرور .وبهذا تنتشر السعادة،وتشرق الآمال فتبدد ظلمات النفوس ،وفى ذلك سلام.

لقد خلق الله الأرض للإنسان ليعيش عليها فى يسر ييسر له ذكر خالقه ،وفى تسخير السماوات والأرض للإنسان نعمة من الله لهذا الإنسان ،ولذلك كان كل تسخير لما خلق الله يقصد به غير طاعة الله بمثابة كفر بالنعمة ،وخروج بالأمور عن مقتضياتها التى خلقت من أجلها.

إن منهج البحث في أي دين ، أيا كانت مجالات هذا البحث ،لابد أن يرتكز على هذا الأساس ،ترابط عضوى بين الدنيا والدين ،والحياة والآخرة ،فالحياة وسيلة إلى غاية ،وإذا صلحت الوسيلة صحت الغاية ،وتحقق الهدف المراد من الحياة وفي هذا يقول الله تعالى : "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا " ( القصص ٧٧ ) وفي تقديم الآخرة على الدنيا ،والموازنة بين الآخرة ككل والنصيب من الدنيا دلالة على عظم الوزن النسبي للآخرة ،وفي ذلك يقول الله تعالى : "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب " ( الشورى ٢٠ ) ولا يعني هذا المنهج عدم جواز الأخذ عن غير المسلمين ،وذلك أن الإسلام أطلق سلطان العقل من كل ما يقيده،وخلصه من كل تقليد للآباء والأجداد ،ورده إلى مملكته يقضي بحكمه وحكمته ،مع الخضوع في ذلك لله وحده ،والوقوف عند شريعته.

ولا يمكن أن نتهم أي حركة للتجديد ،بتهمة استيراد الأفكار والنظريات فتلك تهمة قديمة حديثة ،سبقت هذه الفترة إلى فترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وقد قال الله تعالى في ذلك : "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا " وهنا يرد عليهم القرآن الكريم بأن الفيصل هو صلاحية الفكر وصدقه ونفعه ،لا معرفة آبائهم وأجدادهم ، فيقول : "أو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " ( البقرة ١٧٠ ) ومع أن الإسلام دين ودولة ،عقيدة وشريعة ،إلا أنه يحض على الاستفادة من الأفكار الأخرى التي لا تتعارض مع أصوله المقررة ،أو قواعده العامة والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

إن التزواج بين ما هو كامن في النفس ،وما صادقت عليه الشريعة الإسلام من تقدير للحرية ، والتنظيمات المعاصرة ،يفجر الطاقات الكامنة في ميادين الاقتصاد والمعارف والعلوم والفنون ، ومن ثم فليس هناك ما يمنع من الاقتداء به في تلك الحدود.

وقد تناولت في هذا البحث " سماحة "الأديان والسلام العالمي " مفهوم السماحة من عولمة الحياة الإنسانية ،واتخذت للبحث محورا أرتكز عليه ،هو دور السماحة في التنمية الاقتصادية ،باعتبار الاقتصاد أساس تكوين المجتمعات والأمم والشعوب ، وهو الركيزة التي يرتكز عليها البناء ،وعلو البناء من قوة الاقتصاد ،كما تقاس قوة البلدان بقوة اقتصادها ،وضعفها بضعف اقتصادها ،ولن يتحقق النماء الاقتصادي إلا إذا كان هناك رباط يجمع عليه الأفراد وهذا الرباط الذي يجمعهم أساسه السماحة ،وقد دللت على هذه الصفة من خلال لقاءات الأديان ،بين المسلمين والمسيحيين ،واليهود ،وبما يروى عن مواقفهم ومشاهدتهم التي تبين مظهر السماحة ،والإسلام الذي هو خاتم هذه الأديان صور هذه السماحة ، وبين نظرته نحوها ،وجمع الأديان حولها ولأنها من المشاعر الإنسانية ،وأساس التعايش الهادئ الآمن ،ومن هذا المنطلق أثرت حركة التنوير على هذا المفهوم ،وبينت أهمية العلم والثقافات والمدارس ،والندوات والمؤتمرات واللقاءات في هذا الميدان ،بحيث أثر ذلك على العلاقات بين هذه الأديان ،وأثرها على المجتمعات وأنها تعطي مفهومها الصحيح عن مبادئها ،وبذلك تتعرف البلدان المختلفة بأفرادهم المتباينين على أسرار هذه الديانات ،ويأخذون منها موقفا صحيحا تجاه ما يعتقدونه خطأ ،وهنا تظهر أهمية الإخاء الديني الذي كشف عنه البحث ،في إزالة الشكوك والمفاهيم الخاطئة من أذهان الغرباء البعيدين عن معرفة ما لهذه الأديان من اتجاهات .. ولم يغفل البحث أن يبرز حقوق الإنسان التي تكفلها الأديان وتنادي بها وتضمن له السلامة والاستقرار ،ويعتبر الدين الإسلامي رائد الدعوة في هذا المجال فهو إلى جانب أنه دين تسامح ،يعطي للفرد حقه في ممارسة كل ما يعود عليه بالنفع

إن السماحة ضرورة واجبة ،وهذا ما كشف عنه البحث ،وبين الدور الحضاري الذي تلعبه الأديان لترتقي بالتنمية الاقتصادية ،مبينة الأدوار التي يلعبها

كل من اليهود ، والمسيحيين ، والمسلمين فى هذا المضمار ، وتولى اهتماما خاصا بالتنمية البشرية ، وبالتخصص الذى يعطى فرصة للنجاح الرحب.

وقد جاء فى هذا البحث بيان بقيمة الأديان ،وبقيمة الكتب السماوية والرسل والأنبياء وظهور روح جديدة ،غيرت من المفاهيم البالية القديمة ، وإعلانها للحرية والأمن والطمأنينة والاستقرار والسلام.

**د. خالد الزواوى**



# المراجع


١- القـــرآن الكريـــم

٢- الحافظ بن شهاب الدين أبى الفضل العسقلانى: فتح البارى لشرح البخارى ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى القاهرة ١٩٥٩.

٣- الإمـــام الغـــزالى: إحياء علوم الدين مطبعة صبيح ١٩٥٨ - خلق المسلم - دار الكتب الإسلامية - القاهرة . د . ت

٤- د . أحمـد العسـال ود. فتحى عبد الكريم: النظام الاقتصادى فى الإسلام مبادئه وأهدافه - مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٧٧ .

٥- البـهى الخـولى: الثروة فى ظل الإسلام - دار الاعتصام ١٩٧٨.

٦- السـيد محمـد عاشـور: دراسة فى الفكر الاقتصادى العربى ،أبو الفضل جعفر بن على الدمشقى ١٩٧٣- رواد الاقتصاد العرب - مصر ١٩٧٤.

٧- شـوقى أحمـد دنيـا: الإسلام والتنمية ا لاقتصادية - دار الفكر العربى ط١ ١٩٧٩.

٨- د . عبد الحليم محمود: الإسلام والإيمان - دار الكتب الحديثة ١٩٦٩.

٩- د . عبد الهادى النجار: أسس الاقتصاد السياسى - توزيع مكتبة الجلاء بالمنصورة ١٩٨٠.

١٠- د . على عبد الواحد وافى: حقوق الإنسان فى الإسلام - دار نهضة مصر للطبع والنشر الطبعة الخامسة ١٩٧٩.

١١- د . عمرو محيى الدين التخطيط الاقتصادى - دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٥.

١٢- د . عيسى عبده الاقتصاد الإسلامى مدخل ومنهاج - دار الاعتصام ١٩٧٤.

١٣- د . محمد زكى شافعى التنمية الاقتصادية ،الكتاب الأول - دار النهضة العربية ١٩٨٠.

١٤- د . محمد شوقى الفنجرى المدخل إلى الاقتصاد الإسلامى - دار النهضة العربية ١٩٧٢.

١٥- د . يوسف القرضاوى الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف كتاب الأمة ط٢ ١٤٠٢ هـ .

١٦- د . على حسن الخربوطلى الإسلام وأهل الذمة - مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - العدد ٤٩ .

١٧- السيد إبراهيم سليم وباء الفتنة والتعصب وعلاجه فى التوراة والإنجيل والقرآن - المؤسسة العربية الحديثة.

١٨- محمد فؤاد عبد الباقى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان ١٩٤٥ .

١٩- اسحق دويتشر دراسات فى المسألة اليهودية ،ترجمة مصطفى الحسينى - بيروت ١٩٧١ .

٢٠- خيرية قاسمية النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨ بيروت ١٩٧٣ .

٢١- صمونيل أتينجر اليهود في البلدان الإسلامية، ترجمة د . جمال أحمد الرفاعي - عالم المعرفة العدد ١٩٧ ذو الحجة ١٤١٥ هـ - مايو / أيار ١٩٩٥م.

٢٢- جفري بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة د .إمام عبد الفتاح إمام - عالم المعرفة العدد ١٧٣ - ذو القعدة ١٤١٣ هـ - مايو / أيار ١٩٩٣م.

٢٣- د . محمد عمارة الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات .. لا حقوق - عالم المعرفة العدد ٨٩ - شعبان ١٤٠٥ هـ - مايو / أيار ١٩٨٥ م. - تيارات الفكر الإسلامي - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣.

٢٤- د . عبد الهادي على النجار الإسلام والاقتصاد - عالم المعرفة - العدد ٦٣ جمادي الأولى - جمادي الآخرة ١٤٠٣ هـ / مارس / آذار ١٩٨٣ م.

٢٥- أليكسي جورافسكي الإسلام والمسيحية، ترجمة د . خلف محمد الجراد - عالم المعرفة العدد ٢١٥ -جمادي الآخرة ١٤١٧ هـ - نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٩٦م.

٢٦- ريجينا الشريف الصهيونية غير اليهودية ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز عالم المعرفة العدد ٩٦ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ديسمبر / كانون الأول ١٩٨٥ م.

٢٧- السيد إبراهيم سليم وباء الفتنة والتعصب وعلاجه في التوراة والإنجيل والقرآن المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة د . ت.

٢٨- ابن الربيع الشيباني تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول - المطبعة السلفية - القاهرة د . ت.

٢٩- أميرة مشهور تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي - القاهرة ١٩٨٨ .

٣٠- خورشيد أحمد استراتيجية التنمية من مفهوم إسلامي - تونس ١٩٨٠ .

٣١- عبد الرحمن يسرى أحمد التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام - الإسكندرية د. ت.

٣٢- يوسف إبراهيم يوسف استراتيجية وتكنيك التنمية الاقتصادية في الإسلام - القاهرة ١٤٠١هـ.

٣٣- ربيع الروبي المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية - القاهرة ١٩٨٤م.

٣٤- د.أحمد شلبي مقارنة الأديان جـ٢ - المسيحية- مكتبة النهضة ط٨ ١٩٨٤ .

٣٥- إنجيـــــل برنابـــــا ترجمة خليل سعادة المكتبة التوفيقية.

٣٦- د . أحمد محمد الحوفى سماحة الإسلام - مهرجان القراءة للجميع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ .

٣٧- جوســتاف جرونيبــاوم حضارة الإسلام ،ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد.

٣٨- البـــهى الخـــولى الثروة فى ظل الإسلام - دار الاعتصام ١٩٧٨

٣٩- سيد قطب فى ظلال القرآن ،دار إحياء التراث العربى ط٣ ( ٨ مجلدات ) بيروت - لبنان ١٩٦١ .

٤٠- د . عبد الحليم محمود الإسـلام والإيمـان - دار الكتب الحديثة ١٩٦٩ .

٤١- ابـــن عبـــد ربـــه العقد الفريد - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ .

٤٢- ابـــن قتيبـــة الإمامة والسياسة - طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ

٤٣- ابـــن القيـــم أعلام الموقعين - طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ .

٤٤- أبـو الفـرج الأصفـهانى كتاب الأغانى ،تحقيق عبد الكريم الغرباوى وإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

٤٥- البيضـــــاوى التفسير ،طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦ .

٤٦- أبـو عثمـان عمـرو بـن بحـــر الجـــاحظ كتـاب الحيـوان ، تحقيـق د .عبـد السـلام هـارون ( الدخـائر ) - الهيئـة العامـة لقصـور الثقافة سنة ٢٠٠٢ .

٤٧- علـى بـن أبـى طـالب نهج البلاغة - طبعة دار الشعب - القاهرة د . ت.

٤٨- القرطبي — الجامع لأحكام القرآن طبعة دار الكتب المصرية.
٤٩- النسفي — مدارك التنزيل وحقائق التأويل طبعة القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ .
٥٠- ابن الأثير — الكامل في التاريخ - القاهرة ١٩٨٣ ( محمد بن عبد الكريم لشيباني ).
٥١- ابن الجوزي — المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - القاهرة ١٩٩٢ ( أبو الفرج عبد الرحمن ).
٥٢- ابن خلكان — وفيات الأعيان - القاهرة ( شمس الدين أبو العباس).
٥٣- البلاذري — فتوح البلدان - القاهرة ١٩٣٢.
٥٤- الطبري — تاريخ الأمم والملوك - القاهرة ١٩٧٩.
٥٥- القلقشندي — صبح الأعشى - طبعة دار الكتب بدء من سنة ١٩١٣.
٥٦- المسعودي — مروج الذهب ومعادن الجوهر - بيروت - لبنان ١٩٨٣ ( على بن الحسين بن على ).
٥٧- مسكويه — كتاب تجارب الأمم - القاهرة ١٩٥١.
٥٨- ياقوت الحموي — معجم الأدباء - القاهرة ١٩٦٥ - معجم البلدان - بيروت لبنان ١٩٨٢.
٥٩- منصور الرفاعي عبيد — الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب الهيئة المصرية العامة للكتاب د. ت.

٦٠- ابــــن تيميــــة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - المكتبة التوفيقية . د.ت.

٦١- د . عبد الله مبروك النجار الانتماء فى ظل التشريع الإسلامى - المؤسسة العربية الحديثة طبعة ١٩٨٨.

٦٢- د . محمد أحمد مفتى و د . سامى صالح الوكيل النظرية السياسية الإسلامية فى حقوق الإنسان الشرعية - دراسة مقارنة كتاب الأمة طبعة ١٩٩٠.

٦٣- ابــــن رشــــد بداية المجتهد ونهاية المقتصد - مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٥٧ هـ .

٦٤- د . عبد الوهاب عبد العزيز الشيشانى حقوق الإنسان وحرياته الأساسية فى النظام الإسلامى النظم المعاصرة - الجمعية العلمية الملكية ١٩٨٠.

٦٥- الإمــام النــووى رياض الصالحين - دار التراث العربى - القاهرة د. ت.

٦٦- ابــــن القيــــم زاد المعاد - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - د.ت.

٦٧- الشـــــوكانى نيل الأوطار - طبعة دار الجيل للشباب - القاهرة - د. ت.

٦٨- د. ســعد المرصفــى العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوصفية المعاصرة - دار البحوث العلمية ١٩٨٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

## المؤلف فى سطور C.V

**دكتور خالد محمد الزواوى          من مواليد البحيرة ١٩٣٤م**

- حاصل على الدكتوراه فى الأدب العربى من جامعة عين شمس بمرتبة الشرف الأولى .
- عضو هيئة التدريس بدولة الكويت ومصر .
- شارك فى ندوات ومؤتمرات أدبية وثقافية .
- حصل على جائزة الدكتور محمد شوقى العنجرى ، وفاز بجائزة الاستحقاق من دار نعمان للثقافة بلبنان .
- حصل على ميدالية عيد العلم ، وشهادات تقدير وامتياز وجوائز .
- له بحوث ومقالات ودراسات نقدية فى الأدب والثقافة .
- له كتب فى الأدب واللغة والتعليم .
- عضو اتحاد الكتاب ، وعضو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

### من نتاجه الأدبى :

- النقد والبلاغة للمرحلة الثانوية - بتكليف من وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت ١٩٧٧م .

الصورة الفنية عند النابغة الذبيانى - الشركة المصرية العالمية لونجمان ١٩٩٢م.

تطور الصرة فى الشعر الجهالى مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع الاسكندرية ٢٠٠٠م .

- التعليم المعاصر وقضاياه الفنية والتربوية - مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠١م .
- مشاهد أبكتني - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية ٢٠٠٢م .
- اللغة العربية - مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع - الإسكندرية ٢٠٠٣م .
- الذهب الأزرق في الوطن العربي : مجموعة النيل العربية - القاهرة ٢٠٠٣م .
- البطالة : مجموعة النيل العربية القاهرة ٢٠٠٣م .
- الجودة الشاملة في التعليم : مجموعة النيل العربية - القاهرة ٢٠٠٣م .
- الحوارات الإلهية - تحت الطبع .

**العنوان :**

**بولكلي - أمام شارع أبو هيف شقة ٣ - الإسكندرية .**

**تليفون : ٥٤٦٣٤١٩ / ٠٣**

**محمول : ٠١٢٢٧٣٨٠٤٤**

## الفهـــرس

| الموضـوع | الصفحة |
| --- | --- |